

La Conquéte du Monde Musulman

تأليف

ا . لُ شاتليه A. Le Chateler

لخصها ونقلها إلى العربية

محب الدين الخطيب

مساعد اليافي

(نشرت في جريدة المؤيد سنة ١٣٣٠ وفي صحيفة الفتح سنة ١٣٤٩ – ١٣٥٠)
1912 م.

نشره

قصي محب الدين الخطيب

المطبعة السلفية ومكتبتها

٢١ شارع الفتح بالروضة ، نهاية شارع المنيل – القاهرة

تليفون : ٨٤٠٣٦٤

طبع فى مطبعتنا السلفية هذه الطبعات :

الطبعة الأولى فى : ١٣٥٠
« الثانية فى : ١٣٨٣
« الثالثة فى : ١٣٨٥
« الرابعة فى : ١٣٩٨

١٣٩٨ هـ

المطبعة السلفية - ومكتبتها

٢١ - شارع الفتح بروضة الفسطاط ، القاهرة ت : ٨٤٠٣٦٤

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيد الهداة والدعاة والمصلحين ، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فى يوم من أيام سنة ١٣٣٠ هـ . وكنت أشتغل فى تحرير المؤيد – أقبل علىّ زميلى السيد مساعد اليافى وقال :

– شىء جديد لم أكن أتوقعه

قلت : وما هو ؟

قال : إن (**مجلة العالم الإسلامى** La Revue du Monde Musulman) التى كانت إلى الآن مجلة اجتماعية أدبية ، تحولت فى هذا الشهر إلى مجلة تبشيرية . انظر ، إنها أصدرت عدداً ضخماً ليس فيه غير بحث واحد وهو بحث تبشيرى يدور حول ما تقوم به إرساليات التبشير البروتستانية فى العالم الإسلامى وما قيل فى المؤتمرات التى عقدتها تلك الإرساليات فى أوقات مختلفة . وقد جعلت المجلة عنوان هذا البحث (**الغارة على العالم الإسلامى**) أو (**فتح العالم الإسلامى**)

قلت له : إن المجلة الفرنسية بنشرها هذا العدد الخاص بأعمال المبشرين البروتستانت تقول للمبشرين الكاثوليك : انظروا كيف سبقكم الآخرون إلى الغارة والفتح ، فيجب أن تضاعفوا جهودكم وتنظروا فى أساليبهم فتستفيدوا منها . ونحن أيها الأخ – بصفتنا مسلمين – يجب علينا أن نعلم ما يكيده لنا هؤلاء وأولئك ، وأن نجعل أمتنا على علم بما يُنصب لها من شراك وما يبيت لها من شر . فأقترح عليك أن تترجم فصول هذا البحث فصلا بعد فصل وتنشره فى المؤيد تباعاً فيقف المسلمون على ما يُكاد لهم به من هذه الناحية .

فقال لى صديقى السيد مساعد : ولكن البحث طويل . والوقت الذى نعمل فيه هنا مشغول بالواجبات الأخرى .

قلت : نتعاون أنا وأنت على هذا الخير ، ولا نعد هذا من واجباتنا فى قلم التحرير ، بل من واجباتنا نحو الإسلام والشرق . وأرى أننا عند ما نفرغ كل يوم من عملنا اليومى تملى علىّ ترجمة فصل من الفصول بأى الألفاظ شئت وأنا أصوغ ما تمليه على بعبارة عربية ، فنتمكن من أداء هذا العمل بنصف الوقت اللازم له .

قال : حسن !

وفى نفس ذلك اليوم دفعنا للمطبعة مقدمة المسيو لُ شاتليه Le Chatelier رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى بعد أن وطأنا لها توطئة باسم قلم تحرير المؤيد .

وما كادت هذه المقالات المتسلسلة تنتشر فى مصر والعالم الإسلامى حتى كان لها وقع عظيم جداً وبعثت اليقظة فى كثير من الناس . ونقلتها عن المؤيد مجلات وصحف متعددة — منها مجلة المنار فى القاهرة ، وجريدة الإخاء العثمانى فى بيروت — وضاق صدر كتّاب مجلة العالم الإسلامى نفسها وأمثالهم من أنصار التبشير والاستعمار من ذيوع هذه الفصول بين المسلمين ، لأنهم يودون أن يقوم بأعماله والمسلمون نيام . فدارت مناقشة بينهم وبين المؤيد حول هذا الموضوع تولى كاتب هذه السطور الإجابة عليها .

وقد جاءت فى هذه الأيام مناسبات ذكرتُ فيها مقالات (الغارة على العالم الإسلامى) لكثير من أصدقائنا فكنت أراهم لا علم لهم بها ، لأن هذا شىء مضى عليه نحو عشرين سنة فاقترحوا علىّ أن أعيد نشر ذلك فى الفتح ، وأن أضعه بين أيدى الناس فى كتاب مستقل .



توطئة من المؤيد

عن عددها الصادر فى ٢٠ ربيع الثانى ١٣٣٠

فى فرنسا جمعية اسمها

(الإرسالية العلمية المغربية)

مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الإسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية وغيرها من لغات المسلمين خدمة لجامعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية .

وقبل خمس سنوات أخذت هذه الجمعية تنشر فى باريس مجلة كبرى مصورة تصدر فى كل شهر اسمها **(مجلة العالم الإسلامى)** يكتب فيها كبار المستشرقين ، كالمسيو لُ شاتليه رئيس تحريرها وهو أيضاً أستاذ المسائل الاجتماعية الإسلامية فى إحدى جامعات فرنسا ، وكالمسيو لويس ماسينيون المستشرق الذى كان فى مصر منذ سنتين ، وغيرهما من المشتغلين بالموضوعات الإسلامية .

ويذكر القراء أننا كنا ترجمنا بعض أبحاث هذه المجلة منذ صدورها ليطلع القراء على آراء الكتاب الفرنساويين فى آدابنا وعاداتنا . وآخر ما ترجمناه عنها فصول للمسيو شاتليه عن (المركز الاقتصادى للعالم الإسلامى) .

ولقد كانت هذه المجلة قبل الآن ظاهرة بمظهر علمى تكون الغايات السياسية فيها بالدرجة الثانية ، إلى أن تم لفرنسا احتلال المغرب أولا ثم دخلت فارس فى طورها الأخير وحل بعد ذلك ما حل بطرابلس فظهرت هذه المجلة كغيرها بمظهرها الحقيقى الذى تكون فيه الدروس العلمية ذريعة لغايات سياسية ودينية . من ذلك أن **(مجلة العالم الإسلامى)** نشرت فى أحد أجزائها الأخيرة بحثاً مطولا أو كتاباً مفصلا عنوانه **(الغارة على العالم الإسلامى)** أو **(افتتاح العالم الإسلامى)** أثبتنا عنوانات فصوله قبل هذه التوطئة ليطلع القراء على ترجمة هذه الفصول واحداً بعد واحد ، فيعلموا كيف تتبدل اللهجات بتبدل الحالات ، وتتبين المقاصد مع انكشاف الحوادث .

بحوث الكتاب

مقدمة المسيو شاتليه

عن إرساليات التبشير البروتستانية

قلنا فى سنة ١٩١٠ عندما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة فى موضوع السياسة الإسلامية :

« ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنياً قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية (١) ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته . ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التى يقوم الرهبان المبشرون وغيرهم بها لأن لهذه المشروعات أغراضاً اختصاصية ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة فى هيئتنا الاجتماعية التى من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الإقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التى يقوم بها الأفراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة إلى الغرض العام الذى نحن نتوخاه ، وهو غرض لا يمكن الوصول إليه إلا بالتعليم الذى يكون تحت الجامعات الفرنساوية ، نظراً لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الإرادة .

وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليبث فى دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية ! »

هذا ما ارتأيناه يومئذ وسيظهر مما يؤيده فى الفصول التالية المتعلقة بإرساليات التبشير البروتستانى الأنجلو سكسونية والجرمانية الدائبة على العمل فى العالم الإسلامى حتى أصبحت أهميتها تفوق بكثير ما اعتاد الفرنساويون أن يتصوروه ، لأن النشاط وقوة الجأش التى يظهرها القائمون بأعمال هذه الإرساليات تختلف عن التى تمتاز بها أمتنا .

(١) التأثير على عقول أبناء الشرق وقلوبهم .

وكنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض فى ذكر تفاصيل أعمال هذه الإرساليات التى اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التى أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام .

وحسبنا أن نستشهد بإرسالية التبشير الكاثوليكية فى بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل فى فرنسا إذاً بالرغم من كون «كلية القديس يوسف اليسوعية» التى تدبر أعمالها هذه الإرسالية لا تأثير لها على النشوء الفكرى فى المحيط الإسلامى ، فإن التعاليم التى تنشرها وتبثها كان لها الحظ الأوفر فى انتشار الأفكار الفرنساوية فى سورية والقطر المصرى

نعم ، إن غاية المدرسة اليسوعية وطريقة التعليم فيها تختلفان عن غاية وطريقة المدرسة الكلية الفرنساوية فى غلطة (الآستانة) إلا أن النتائج كانت متقاربة من حيث تعميم التعاليم والأفكار التى تنشرها اللغة الإفرنسية . ومن هذا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الإسلامية من حيث أنها تبث الأفكار الأوربية .

إلا أن لإرساليات التبشير مطامع أخرى كما يتبين من الجملة الآتية التى استخرجها من رسالة أرسلها إلىّ من جزيرة البحرين (قرب عُمان) فى ٢ أغسطس سنة ١٩١١ حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر منشىء مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية وهو يبنى فيها صروح آمال شامخة على أعمال المبشرين البروتستان قال :

« إن لنتيجة إرساليات التبشير فى البلاد الإسلامية مزيتين : مزية تشييد ، ومزية هدم ، أو بالحرىّ مزيتى تحليل وتركيب . والأمر الذى لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير — الذى أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى — هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغى لنا أن نعتمد على إحصائيات (التعميد) فى معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية فى طرف خفى » اه.

ولا شك فى أن إرساليات التبشير من بروتستانية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية ، فبنشرها اللغات الإنكليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يتحكك الإسلام بصحف أوربا وتتمهد السبل لتقدم إسلامى مادى وتقضى إرساليات

التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها .

أما ما يقوله حضرة مكاتبنا « زويمر » عن وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سراً وينتظرون فرصة للجهر بها ، فذلك أمر لا يمكننا البت فيه مع حضرة المكاتب .

على أنه ليس من الحوادث الغريبة أن يتنصر بعض أفراد ينتمون إلى أصل فارسى أو هندى ، لأن اختلاف النحل والاعتقادات فى هذه العناصر هو من مزاياها الاجتماعية وكذلك الحال فى الوسط السامى المتصل بالأصل العبرانى ، ولكن من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصير فى بيوت السادة العلوية وبين الياتان (الأفغانيين) الخلص الموجودين فى بلاد الهند أو مشايخ الهند وجيرانهم الأفغانيين والأتراك والتركمانيين والعرب الحقيقيين والبربر .

ولا ينبغى لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامى أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية ، إذ الضعف التدريجى فى الاعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له ، سوف يفضى — بعد انتشاره فى كل الجهات — إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر .

على أن المناقشة فى هذه المسألة لا طائل تحتها ، لأن الآراء تنبعث من وجهة التفكير ، فلنقتصر إذن على القول بأن سير العالم الإسلامى تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها ، وذلك أمر طبيعى ممكن التحقيق ، أما فرض تدرج المسلمين إلى اعتناق المسيحية فخارج عن حد الإمكان لأن المسلم كالمسيحى واليهودى لا تجذبه التعاليم العصرية إلى الاعتقادات الدينية .

ولكننا نعود فنقول : إنه مهما اختلفت الآراء فى نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثانى من خطتهم وهو (الهدم) فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التى تبذل فى سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسى الذى طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوربية إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من

الوجهة السياسية وسوف لا يمضى غير زمن قصير حتى يكون الإسلام فى حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوربية .

قد يظهر لإخواننا المسلمين أننا نتصرف فى مستقبلهم بحرية وبلا تكليف ، ولكن من منهم ينكر أن العالم الإسلامى أصبح هدفاً لغلطات فتيان جمعية الاتحاد والترقى الذين ورثوا عبد الحميد واستعانوا بوسائله السياسية بعد أن خلعوه ، ولم تكن أمامهم وسيلة لإنقاذ السلطنة العثمانية والخلافة الإسلامية غير تنظيم حكومة مؤلفة من ولايات إسلامية متحدة وكل وسيلة غير هذه كانت تؤدى إلى نتيجة لابد منها وهى تقسيم المملكة .

ولم نرم الكلام على عواهنه ولم نقصد غير تقرير حقيقة راهنة عندما نبهنا المسلمين من قراء مجلتنا — قبل احتلال طرابلس الغرب بستة أشهر — إلى ما تخبئه الأيام للآستانة التى ستقع بين مخالب ألمانيا وروسيا .

إن إرساليات التبشير البروتستانية الأنجلوسكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التى ظهر بها العالم الإسلامى ، وقدرأيناأن نذكر معها إرساليات التبشير الألمانية لما عقد بينهما من الأواصر والروابط فى مؤتمرى سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ولم يبق ارتباطهما مقتصراً كسابق عهده على تناوب كرسى الأسقفية البروتستانية فى بيت المقدس .

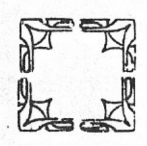
وليس من المستغرب — ونحن نبدى إعجابنا بأعمالها — أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها خصوصاً وأن السيطرة على أهم الأسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة .

وكنا نود لو كان فى الوقت متسع لبسط القول وإيضاح مجرى الأمور فى هذه المسألة بحذافيرها لأنها جديرة باهتمام رجال فرنسا بلا إضاعة وقت . إلا أننا اضطررنا إلى الاقتصار على جمع بعض أمور وقفنا عليها وسنبينها هنا على قدر الإمكان .

ونحن نكتفى بعرض هذه الأمور من غير تعليق عليها لأننا اقتطفناها من مؤلفات وفصول شتى ونظمناها على الترتيب المتبع فى هذه الظروف : وإن المسألة التى تهمنا سوف تبدد شكوك ذوى البصيرة والروية لدى اطلاعهم على ما نعرضه أمام أنظار قراء مجلة العالم الإسلامى .

ونؤمل من ذوى الشأن فى إرساليات التبشير البروتستانية أن لا ينكروا علينا انتهاج هذه الخطة التى بالطبع خطة مجلتنا وهم أعلم الناس بعواطفنا وشعورنا نحو عملهم الذى لا يمكننا أن نذكر أهميته إلا مقرونة بإلحاحنا فى ذكر الضرورات التى تقتضيها السياسة الفرنساوية الوطنية كما تحول مجهوداتها إلى التعليم التابع لطريقة المدارس الجامعة الفرنساوية ، وذلك أشد العوامل تأثيراً على بلادنا لتدخل فى حلبة المسابقة لنشر التعليم العقلى

ال. شاتليه



تاريخ التبشير

اقتصرت مجلة العالم الإسلامى فى هذا الفصل على تلخيص كتاب (مشروع التبشير) الذى ألفه المستر « أدوين بلس » البروتستانى ثم أعاد طبعه قبل عشر سنوات فزاد عليه زيادات أخرى وسماه (ملخص تاريخ التبشير) ذكر فيه إرساليات التبشير البروتستانية على اختلاف نزعاتها منذ نشأتها فى القرون الغابرة إلى أيام الطبعة الثانية للكتاب مع بيان ما بين هذه الإرساليات من ارتباط وتضامن .

وقالت مجلة العالم الإسلامى : إن هذا السفر نفيس فى بابه يتسنى لقارئه أن يقف على حقيقة أعمال الإرساليات البروتستانية فى بلاد الإسلام حتى أواخر القرن التاسع عشر إلا أننا ننكر على مؤلفه عدم إشارته إلى الإرسالية الكاثوليكية ، وهذا موضع الضعف فى كتابه بل فى أعمال إرساليات التبشير جميعاً على اختلاف نزعاتها ، ولو كان المبشرون الكاثوليك والبروتستان الذين يجتمعون فى بلاد إسلامية ينتبهون إلى أن انقسامهم يحط من قدرهم ويقلل هيبتهم ويوطد أركان الإسلام لكانوا على الأقل يوهمون بأنهم متفقون ظاهراً ، خصوصاً وأن انقسامهم هذا يمهد للإسلام السبيل لاستمداد مبادىء الحضارة من إرساليات المبشرين من غير أن يقتبسوا أفكارها الدينية . ولا ريب أن نخبة الأذكياء المسلمين فى مصر وسوريا — عندما يقفون على هذه التفرقة الموجودة بين الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانية والعلمانية التى تتجاهل كل منهن الأخرى — لا يترددون فى الحكم على مذاهب النصرانية بأنها قد فقدت التوازن بالرغم من الخدم التى تأتى بها الحضارة الأوربية .

واستأنفت مجلة العالم الإسلامى بعد هذا الاستطراد كلامها على كتاب المستر بلس فقالت : إنه يقسم إلى قسمين ، الأول فى تاريخ التبشير العام وطرائقه ، والثانى فى موقف الإرساليات البروتستانية وأعمالها فى البلاد .

ويقول المؤلف إن تاريخ التبشير المسيحى يرجع إلى صدر النصرانية ومبتدأ تأسيسها . ثم ذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية فى القرون الوسطى فقال : إن « ريمون لول » الأسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية

فى مهمتها . فتعلم « لول » اللغة العربية بكل مشقة وجال فى بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة .

وفى الفصل الثالث ذكر المؤلف المبشرين الكاثوليك والدور الذى لعبوه فى ثورة البوكسر الصينية وتدخلهم فى شئون القضاء . وهنا انتقدت مجلة العالم الإسلامى الكاثوليكية على هذا المؤلف البروتستانى اقتصاره على ذكر تاريخ المبشرين الكاثوليك فى ثمانى صفحات فقط وقوله إن المسلمين ينظرون إلى الطقوس والاحتفالات الكاثوليكية باشمئزاز . ووصفت المجلة هذا القول بأنه لا يشف عن محبة مسيحية ...

وفى الفصل الرابع وصف المؤلف تنظيم إرساليات التبشير فى القرون الوسطى فى الهند وجزائر السند وجاوه واختلاط المبشرين بالمسلمين منذ ذلك الحين . وأشار إلى « بترهيلنغ » الذى احتك بمسلمى سواحل أفريقية وإلى اهتمام هولنده بالتبشير فى جاوة فى أوائل القرن الثامن عشر حتى قسمت جاوه لهذه الغاية إلى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة ، وقال : إن عدد الذين تنصروا سنة ١٧٢١ بلغ ١٠٠,٠٠٠ وكان النصارى فى سيلان سنة ١٧٢٢ (وكانت يومئذ تحت سلطة هولانده) يبلغ عددهم ٤٢٤٠٠٠ وتساءل عما بقى منهم الآن وقال : إن المسلمين كانوا فيها قليلين فصاروا الآن فئة كثيرة .

ثم ذكر تحريك البارون « دويتز » ضمائر النصارى سنة ١٦٦٤ إلى تأسيس مدرسة كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحى وتعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التبشير فارتأى أحد أحبار الكنيسة أن يُعهد إلى الأروام بمسئولية تبشير الأتراك . ثم فشل البارون فى مشروعه .

وسرد المؤلف تاريخ تنظيم الإرساليات البروتستانية من دانمركية وإنكليزية وألمانية وهولندية وأخبار اتصال بعضها ببعض وأسماء الملوك والأمراء الذين كانوا عضداً لها ومؤيدين لأعمالها فى القرن السابع عشر وما بعده فى كل أقطار العالم .

وانتقل إلى البحث فى أعمال هذه الإرساليات فى القرنين الأخيرين فقال : إن المستر كارى هو الذى فاق أسلافه فى مهنة التبشير فدرس لغة اللاتين واليونان والفرنسيس والهولنديين والعبرانيين كما تعلم كثيراً من العلوم . ولما نشر كتبه فى التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ففتح له باب الاكتتاب وذهب إلى الهند لهذا الغرض وصارت

الأموال ترسل إليه ، ثم طلب أن يرسل له رجال يؤازرونه فى التبشير فتأسست سنة ١٧٩٥ « **جمعية لندن التبشيرية** » وما عتمت أن تأسست جمعيات على شاكلتها فى « اسكوتلندة » و « نيويورك » وانتشرت هذه الفكرة فى ألمانيا والدانمرك وهولنده والسويد ونرويج وسويسرا وغيرها وتعذر على الإفرنسيين أن يقوموا بشىء من هذا القبيل لانشغالهم بالثورة التى آلت إلى الانقلاب المشهور .

وتأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل « **جمعية التبشير فى أرض التوراة العثمانية** » .

وبلغ الشغف بهذا العمل إلى أن تأسست إرساليات تبشير طبية على سبيل التجربة لتلحق بالإرساليات العامة فنجحت نجاحاً باهراً ، لذلك أخذت تنمو وتزداد وتألفت لها أقسام نسائية وأرسل بعضها إلى الهند والأنضول .

وفى سنة ١٨٥٥ أسست « **جمعية الشبان المسيحيين** » من الإنكليز والأمريكان ووظيفتها إدخال ملكوت المسيح بين الشبان وعقد تلاميذ المدارس النصرانية فى نورثفيلد مؤتمراً اجتمع فيه ٢٥٠ مندوباً عن ٨٠ مدرسة تكفلت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع فى نشر الدين المسيحى ومن هؤلاء تألفت « **جمعية الشبان المتطوعين للتبشير فى البلاد الأجنبية** » . ويقول المؤلف إنها لعبت دوراً مهماً فى تبشير المسلمين على الخصوص لأن شعارها كان نشر الإنجيل بين أبناء الجيل الحاضر . ثم تبع ذلك تأسيس جمعيات التبشير فى كل بلاد البروتستان . وفى سنة ١٨٩٥ تأسست « **جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين** » فى العالم وهى تهتم بدرس أحوال التلاميذ فى كل الأقطار وبث روح (المحبة) بينهم فالتحق بها ١٠٠,٠٠٠ طالب وأستاذ يمثلون أربعين قوماً ، فنشأ عن وجود هذا العدد العظيم ميل إلى الانتفاع به ، وذلك تأسست سنة ١٩٠٢ « **جمعية تبشير الشبان** » . ومن وظائف هذه الجمعيات الأخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة إلى استماع صوت المبشرين . ثم تقرر سنة ١٩٠٧ أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول فأسست وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن .

هذا ملخص القسم الأول من كتاب المستر « بلس » فيما يتعلق بتاريخ إرساليات التبشير وأعمالها فى بلاد الإسلام .

وأما القسم الثانى فخاص بذكر مراكز تنظيم هذه الإرساليات وإدارة أعمالها فى كل قطر على حدة . وإلى القارئ ملخص هذا القسم :

أفريقيا

قال المستر « بلس » : إن الدين الإسلامى هو العقبة القائمة فى طريق تقدم التبشير بالنصرانية فى أفريقية . والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية . وليس خصمنا هو العربى الذى يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق — لأن هذه التجارة صارت صعبة — بل إن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ فى أفريقيا أكثر مما هو كذلك فى فارس فالشيخ والدرويش يجوبان شواطئ البحر الأحمر والنيجر والمغرب ووادى ويبثان فى الأهالى أن المهدى ينتظر ظهوره وسينشر الإسلام فى كل الأقطار . وقد ظهر مهدى منذ سنين فحارب الإنكليز ثم توفى فتولى الأمر بعده خليفة غُلب على أمره .

أما الشيخ السنوسى العدو الألد للنفوذ الإفرنسى والإنكليزى فله تقاليد أخرى .

ويقول المستر « بلس » إن طلبة الأزهر يعتقدون بالمهدى : وأما المغاربة فلا يزال يدور فى خلدهم إمكان الجهاد ، وهو يرى أن الملحمة الكبرى بين أوربا والإسلام ستنشب فى غربى أفريقية أو فى شماليها . ولا ينبغى أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذى حدث فى السودان .

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر أى فى أثناء الاكتشافات البرتغالية وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إرساليات التبشير البروتستانية إنكليزية وألمانية وكذلك إرساليات التبشير الفرنسوية .

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتسانية بالتبشير فى أفريقية الغربية إلا منذ سنة ١٨٠٤ حيث تعاونت إرسالياتها وانكفأت على الكنغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الأسقف « صموئيل كروتز » الزنجى سلطة الإسلام المتدفق فى النيجر الغربية .

وفى سنة ١٨١٩ اتفقت هذه الجمعية مع الأقباط ، وألفت فى مصر إرسالية عهدت إليها نشر الإنجيل فى أفريقية الشرقية وقررت إرسال مبشرين إلى الحبشة ولكنها فشلت على أثر المنافسة بين اليسوعيين والبروتستان . ثم أخذ المبشرون السويديون والإنكليز يرتادون غربى أفريقية وتبعهم مبشرو المدرسة الجامعة فهبطوا مدينة « ممباسة » ثم عزت

ألمانيا إرسالياتها عقب اتساع مستعمراتها لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستان وكان أهم ذلك فى « أوغندة » بين مبشريها الوطنيين والرهبان البيض الذين ألف إرساليتهم الكاردينال « لافيجرى » .

وتوافد المبشرون على أفريقية الوسطى عقب بعثة « لفتستون » و « ستانلى » سنة ١٨٧٨ فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألمانى واسكوتلندى وإنكليزى ومورافى وهؤلاء انتشرت إرسالياتهم بدون انقطاع من شرقى أفريقية إلى أواسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا . وجاءت هذه الإرساليات بنتائج حسنة .

أما بلاد المغرب فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم « **جمعية تبشير شمال أفريقية** » وهم منتشرون فى المغرب والجزائر وتونس وسائر بلاد الغرب ، ومنهم المبشرون والأطباء التابعون لهم . ولقد شاع أن ذوى الأمر فى فرنسا وإيطاليا حانقون على رجال التبشير ! إلا أن حاكم الجزائر طمأن بال الأسقف « هارتزل » فى الأيام الأخيرة وصرح له بأنه ينظر إلى أعمال المبشرين ببعض الاستحسان .

وقبل الانتهاء من الكلام على أفريقية لا نرى بدأً من الإشارة إلى جزيرة مدغشقر التى يقوم فيها المبشرون البروتستانت بخدمة مهنتهم بكل جد ونشاط .

آسيا الغربية

كان للمبشر « هنرى مارتين » يد طولى فى إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية فبعد أن أقام فى الهند مدة عرج على فارس والبلاد العثمانية وتوفى سنة ١٨١٢ وهو الذى ترجم التوراة إلى الهندية والفارسية والأرمنية ، ومن بعده أخذت إرساليات التبشير تشد الرحال إلى الأنضول وفلسطين واتخذت لها مراكز فى إزمير والقسطنطينية وبيت المقدس ، وتصدرت للتبشير فى صفوف النسطوريين على حدود فارس والسلطنة العثمانية وفى صفوف اليعقوبيين فيما بين النهرين . وفى مقدمة هذه الجمعيات « **لجنة التبشير الأمريكية** » إلا أن « جمعيات اليهود الإنكليزية » سبقتها إلى بعض البلاد العثمانية مثل إزمير والآستانة وسلانيك ، فافتتحت فيها مدارس دينية ومعابد . ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد إرساليات أخرى على هذه البلاد فقسمتها إلى مناطق وأصابت لجنة التبشير الأمريكية منطقة قبائل النصيرية فى سوريا فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل ، وذهب قسم من هذه الجمعية إلى بلغاريا لينفذ خطته هناك .

ولما حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ فى سوريا توجهت الأنظار إلى جبل لبنان ، وبعد عشر سنوات انتشرت لجنة التبشير الأمريكية فى البلاد العثمانية عدا سوريا .

وعلى أثر تأسيس الكنيسة البروتستانية فى الآستانة سنة ١٨٤٦ صارت الآستانة مركزاً عاماً آمنا لأعمال المبشرين .

أما موقف الحكومات الإسلامية أمام إرساليات التبشير فكان يختلف باختلاف البلاد ، فالقبائل المستقلة فى بلاد العرب عدوات لدودات للمبشرين ، وبلاد الفرس سائد عليها نفوذ روسيا ، والسلطنة الإسلامية فى القطر المصرى إسمية فقط . وكانت الحكومة العثمانية تبدى ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم بسبب الدور السياسى الكبير الذى يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية . وكانت معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين تتحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة .

ولقد شمر المبشرون عن ساعد الجد فى ترجمة الكتاب المقدس « التوراة والإنجيل » إلى كل لغات الشرق بأسلوب سهل يتسنى فهمه لكل الطبقات .

وأكبر ما يثير قلق المستر « بلس » مؤلف هذا الكتاب هو الدور الذى ستقوم به الدولة العثمانية فى الحوادث المقبلة ! .. ما دامت أنظار القبائل السنوسية الشديدة البأس متجهة نحو السلطنة العثمانية التى يحكمها أمير المؤمنين وفيها بيضة الإسلام . ومثل السنوسيين الأمم الأخرى البعيدة عن الآستانة مثل بخارى وخيوة والهند والبلاد الإسلامية الشاسعة .

الهند

انتشرت إرساليات التبشير فى الهند عقب إرسالية جمعية لندن التبشيرية التى قام بها «كارى» ثم تبعتها الإرساليات الأمريكية والأسكوتلندية والهولندية والنرويجية وغيرها وكلها تؤدى وظيفتها بنشاط وتقوم بأعمالها بكل دقة .

وكان كل هؤلاء فى بادىء الأمر قد وقعوا فى الحيرة لأنهم لم يعلموا بمن يبدأون فى التبشير ، وهل يسهل بث النصرانية فى البرهمى أو المسلم المتنور أو الهندى العامى ؟

ثم اهتدوا إلى التقاط الأطفال الذين يعضهم ناب الفاقة والفقر فيحسنون إليهم ويستجلبونهم نحوهم ، ومؤتمر التبشير الذى عقد فى شيكاغو قرر أن ينظر فى وسائل تعميم التبشير فى الهند ونشر النصرانية وتفسير تعاليمها بين كل طبقات الأهالى .

جزائر الملايو

يوجد فى شبه جزيرة الملايو وجزائرها المجتمعة عقائد ونزعات سقيمة ، لأن أهالى هذه البلاد اعتنقوا الإسلام فى القرن الثالث عشر ومزجوا به ما علق بهم من عقائدهم القديمة ثم اقتبسوا شيئاً من مذهب الكاثوليك عقب ظهور البرتغاليين ومن مذهب البروتستان بعد استيلاء الهولنديين على هذه البلاد ، والهولنديون أبدوا قسوة وعدم تسامح فى القرون الوسطى لنشر عقيدتهم ، وفى هذه الأيام ذهبت إرساليات كثيرة إلى الملايو لتبشيرهم بالنصرانية .

الصين

فى هذه المملكة مسلمون كثيرون بعددهم قليلون بالنسبة إلى مجموع سكان البلاد : وتاريخ ذهاب إرساليات التبشير إلى الصين يرجع إلى سنة ١٨١٣ ولما افتتحت الثغور الصينية بعد ذلك انتشر فيها المبشرون والأطباء والممرضون التابعون لهم انتشاراً هائلا واتسع نطاق أعمالهم وجاء بثمرات كثيرة .

مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦

كان القسيس « زويمر » رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانية للتفكير فى مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين . وفى سنة ١٩٠٦ أذاع اقتراحه وأبان الكيفية التى يكون بها ، فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث فى « ميسور » من ولاية « أكرا » فى الهند . لأن هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الإسلامية لوجود مدرسة « عليكر » هناك . ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذى ينعقد فى مدينة « مدراس » الهندية كل عشر سنوات فأجاز عقده وأن اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتبشير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعى وبديهى ، لأن مسلمى الهند أخذوا على عاتقهم منذ القرن التاسع عشر تأييد السياسة الإنكليزية للتغلب على الهندوس .

ولما تقرر عقد المؤتمر شرع القسيس « زويمر » وزميل له يعدان المعدات لتأليف لجنة مؤقتة تضع برنامج مذكرات المؤتمر وتدعو المبشرين المنتشرين فى كل البلاد للاشتراك به .

فى يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦ افتتح المؤتمر فى القاهرة فى منزل عرابى باشا فى باب اللوق وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء . وكان عدد مندوبى إرساليات التبشير الأمريكية التى فى الهند وسوريا والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحداً وعشرين ، ومندبو إرساليات التبشير الإنكليزية خمسة واشتركت فى المؤتمر الإرساليات الأسكتلندية والإنكليزية المنفردة والألمانية والهولندية والسويدية وإرسالية التبشير الدنمركية الموجودة فى بلاد العرب .

أنتخب القسيس « زويمر » رئيساً للمؤتمر ، وعين معه نائب رئيس وكتبة ، وحددت أيام الجلسات .

وهذا برنامج المسائل التى تفاوضوا فيها :

ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم ، الإسلام فى أفريقية ، الإسلام فى السلطنة العثمانية ، الإسلام فى الهند ، الإسلام فى فارس ، الإسلام فى الملايو ، الإسلام

— ٢٠ —

فى الصين ، النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ، التنصر ، الارتداد ، وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ، شئون نسائية إسلامية ، موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم فى الإسلام .

وهذه الموضوعات جمعت على حدة فى كتاب كبير اسمه « **وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين** » ثم صنف القسيس زويمر كتاباً جمع فيه بعض تقارير عن التبشير وسماه « **العالم الإسلامى اليوم** » .

جمع هذا الكتاب ونشره القسيس « فلمينغ » الأمريكى وكتب عليه هذه الكلمة [illegible]

— ٢١ —

يكون واقفاً على آيات القرآن والإنجيل عارفاً بمحل المناقشة ، وأن يستعين قبل كل شىء بالروح القدس والحكمة الإلهية ، ومن الضرورى أن يكون خبيراً بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التى لا يعرفها الشرقيون .

وختم المؤلف هذين الفصلين بأن أكثر المسلمين الذين تنصروا إنما هم من العامة والأميين .

وفى الفصل الرابع يأتى ذكر الصعوبات التى تقف فى سبيل تبشير المسلمين المتنورين وهذه الصعوبات هى التى جعلت المؤتمر يترك المذاكرة فى بادئ الأمر بمسألة التنصير ، فخاض فى البحث عن الوسائل التى يكون لها تأثير — ولو قليلا — على الناشئة الإسلامية

نه المباحث التى دارت فى مؤتمر القاهرة واختتمه بنداءين استنهض
رجال النصرانية ليجمعوا [illegible] أعمال مشتركة وعمومية فيستولوا [illegible]
اكن الإسلامية . والنداء الثانى خاص بأعمال نسائية .

صل الأول من الكتاب فيبحث فى الطريقة التى ينبغى انتهاجها فى التبشير
ن مفيداً ضم إرساليات تبشير المسلمين إلى إرساليات تبشير الوثنيين ، وفصل
سلتين .

حث أيضاً عما إذا كان الإله الذى يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود
صرح « الدكتور لبسيوس » فى مؤتمر القاهرة بأن إله الجميع واحد إلا أن
يمر خالفه فى هذا الرأى فقال : إن المسلمين مهما يكونوا موحدين فإن
لههم يختلف عن تعريف المسيحيين ، لأن إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة .

فصل الثانى والثالث بحث فى الصعوبات التى تحول دون تبشير المسلمين العوام
سائل التى يمكن استجلابهم بها وتحبيب المبشرين إليهم ، وأهم هذه الوسائل
سيقى الذى يميل إليه الشرقيون كثيراً ، وعرض مناظر الفانوس السحرى
يس الإرساليات الطبية بينهم ، وأن يتعلم المبشرون لهجاتها العامية واصطلاحاتها
ياً ، وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه ، وأن يخاطبوا العوام المسلمين
عقولهم ومستوى علمهم ، ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة
، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين ، وأن
خطاباته كلمات أجنبية عنهم ، وأن يبذل عنايته فى اختيار الموضوعات ، وأن

لتدرك الأمور الاجتماعية والخلقية والأدبية .

[illegible] المسلمون اضطرت المبشرين فى القطر المصرى إلى محاولة إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات فى موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين ، رغبة فى جلب قلوب المسلمين إليهم . وأنشأوا بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية اسمها (الشرق والغرب) افتتحوا فيها باباً غير دينى يبحثون فيه بالشئون الاجتماعية والتاريخية ، وأسسوا أيضاً مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم فى أثناء البيع .

وقد مضى على ذلك ثلاث سنوات تسنى فيها للمبشرين أن يتوصلوا إلى النتائج الآتية :

الأولى : أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم

الثانية : أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم .

الثالثة : أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم فى وداد المسلمين وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والاجتماعى والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم .

وبناء على هذا ساعد المبشرون الشبان المسلمين فى تأسيس جمعية الغرض منها إيجاد صلة وتقرب بين الطبقة المتعلمة والطبقات المتعددة التى تتألف الأمة منها ، وإنماء

روح الاتفاق هذه هى الطريقة التى استحسنها المبشرون بعد أن علموا أن الأمور التى يتذرعون بها وتكون صبغتها دينية لا ريب أن عاقبتها الفشل . ولكن المبشرين الذين هم على شىء من الجرأة يقولون إنهم سمعوا بعض المسلمين يشكون من الزواج فى الإسلام وتعدد الزوجات وتربية المرأة وعدم وجود التسامح الدينى .

وكل ما خاض فيه المؤتمر من هذه المباحث يختص بالمجهودات التى يبذلها المبشرون لتبشير الشبيبة الإسلامية التى تعلمت على الطريقة الأوربية وفى مدارس الحكومة وما يلقونه من الصعوبات والفشل فى تنصيرها .

أما الذين تعلموا على الطريقة الشرقية فى الأزهر وما يماثله فلم يتكلم أعضاء المؤتمر عنهم إلا بعض اقتراحات ونظريات : من ذلك أن أحد أعضاء المؤتمر أفاض فى وصف ما للجامع الأزهر القديم من النفوذ وإقبال الألوف عليه من الشبان المسلمين فى كل أقطار العالم . وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلى الآن ثم قال : إن السنيين من المسلمين رسخ فى أذهانهم أن تعليم العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه فى غيره والمتخرجون فى الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين ، وباب التعليم مفتوح فى الأزهر لكل مشايخ الدنيا خصوصاً وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً لأن فى استطاعته أن ينفق على ٢٥٠ أستاذاً . ثم تساءل عما إذا كان الأزهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر ، وعرض اقتراحاً يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية .

ثم قال : إن فى الإمكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى أن تخص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية إسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة فى تنصير المسلمين الآخرين .

وختم كلامه قائلا : ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية .

وفى الباب الخامس ذكر المؤلف ما دار فى المؤتمر عن النشرات التى ينبغى للمبشرين إذاعتها لتنصير المسلمين . وقد ظهر للمؤتمر أن التوراة مترجمة إلى معظم اللغات الإسلامية وأكثر لهجاتها ، أما أدبيات التبشير ومؤلفاته فترجمة إلى اللغات الإسلامية المهمة فقط .

وقد اقترح أحد المندوبين أن تراجع المؤلفات التى قدم عليها العهد لإصلاحها واستخدامها فى تبشير المسلمين المتنورين الذين اقتبسوا علومهم فى المعاهد العصرية مثل مدرسة أكسفورد وبرلين ، إلى وجوب تخفيف اللهجة فى المجادلات الدينية .

وقال مندوب آخر : إن الحاجة شديدة إلى نشر كتب فى الموضوعات الدينية الآتية :

أسماء وألقاب المسيح التى فى الأناجيل ، طبيعة الخطيئة الأصلية ، ضرورة الغفران ، الجنة وكيفية الحصول عليها ، الروح القدس وأعماله ، عقيدة سر التجسد ، الإنسان فرد اجتماعى وخالقه ليس كذلك ، وأن الإله الاجتماعى يشمل الثالوث ، الشيطان وكيفية الخلاص منه .

خاض المؤتمر بعد ذلك فى مسئلة إرساليات التبشير الطبية ، فقام المستر « هاربر » وأبان وجوب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين . وهنا ذكر المستر هاربر حكاية طفلة مسلمة عنى المبشرون بتمريضها فى مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانية فى باب اللوق ، وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى . وذكر أيضاً عن رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لإثارة الجلبة والضوضاء ، واتفق أنه مرض فدخل مستشفى المبشرين وبعد أن لبث فيه مدة شفى وخرج منه فصار يحضر المحاضرات فى هذه المرة ولكن بخشوع زائد وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانياً على مذهب البروتستان .

ثم قام الدكتور أراهاس طبيب إرسالية التبشير فى طرابلس الشام فقال : إنه قد مر عليه اثنان وثلاثون عاماً وهو فى مهنته فلم يفشل إلا مرتين فقط وذلك عقب منع الحكومة العثمانية أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور إليه .

وأورد إحصاء لزبائنه فقال : إن ٦٨ فى المائة منهم مسلمون ونصف هؤلاء من النساء . وفى أول سنة مجيئه إلى حيث يبشر بلغ عدد زبائنه ١٧٥ وفى آخر سنة كان عددهم ٢٥٠٠ ، وختم كلامه قائلا :

يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شىء ثم هو طبيب بعد ذلك :

وقام بعده الدكتور تمبانى وذكر الصعوبات التى يلقاها الطبيب فى التوفيق بين مهنتى

التبشير والطب كما حدث معه هو . إلا أن ما بذله من المجهودات قد أعانه على النجاح حتى تمكن من تأسيس مستشفى التبشير من طريق الاكتتابات . وكان أول مكتتب لهذا المستشفى التبشيرى رجلا مسلماً .

وخطب الأستاذ سمبسون بعد ذلك — فى بيان فضل الإرساليات الطبية — ومما قاله : إن المرضى والذين ينازعهم الموت بوجه خاص لابد لهم من مراجعة الطبيب وحسن أن يكون هذا الطبيب (المبشر) فى جانب المريض عندما يكون فى حالة الاحتضار التى لابد أن يبلغها كل واحد من أفراد البشر .

ثم خطبت المس « أناوستون » فتكلمت عن إرسالية التبشير الطبية فى مدينة طنطا قائلة إن ٣٠ فى المائة من الذين يعالجون فى مستشفى هذه الإرسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء . أما طريقة التبشير فى هذا المستشفى فهى أن يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف فى المناقشة إذ المستشفى يجمع بين جدرانه نساء ورجالا .

الأعمال النسائية فى التبشير

كان لهذا الموضوع اهتمام كبير من أعضاء المؤتمر لأنه خاص بنصف مسلمى العالم فقالت المس « ولسون » إن النساء المبشرات يستعن فى الهند بالمدارس وبالعيادات الطبية وزيارة قرى الفلاحين لينشرن النصرانية بين طبقات الناس .

وخطبت المس « هلداى » فى حث المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة .

وتناوبت السيدات المبشرات الخطابة فى أخبار نجاحهن فى المناطق التى انتدبن للتبشير فيها . فقالت إحداهن إن المسلمات الفارسيات يظهرن ميلا شديداً للعلم بالرغم من جهلهن باتساع نطاقه وهن يعتقدن أن الذى يعرف جغرافية البلاد نابغة . ولقصة الابن المسرف التى فى الإنجيل وللمزمار الحادى والخمسين تأثير شديد على النفس المسلمة

وقالت مبشرة أخرى إن مدرسة البنات البروتستانية التى فى الخرطوم فيها من ٨٠ إلى ٩٠ تلميذة مسلمة ولأهلهن الحرية فى السماح لهن بقراءة العهد الجديد (الإنجيل وذيوله) أو فى منعهن من ذلك إلا أن المدرسة فى هذه السنة لم يرد عليها طلب استثناء واحدة من التلميذات من قراءة الإنجيل .

وانتقل المؤتمر بعد ذلك إلى موضوع تربية النساء اللاتى يتطوعن للتبشير .

المتنصرون والمرتدون

تساءل القس « جون فان ايس » عن الأركان التى يشترط توافرها فى الشخص المتنصر أو النصرانى الشرقى الذى يدخل فى المذهب البروتستانى . وبعد أن بحث فى ذلك قال : إن المحبة التى يعرفها نصارى الشرق تشوبها نزعة الاعتقاد بالقضاء والقدر ، وعقيدة الشرقيين عموماً ضرب من الخرافات وإن تكن مبادئ الإيمان موجودة لديهم جميعاً .

ثم تساءل عما إذا كان المسلم المتنصر أهل لنشر النصرانية وأجاب على ذلك بأن هذا الأمر هو محك إخلاصه لأن نشر الدعوة أمر تقتضيه روح الإسلام وبهذا كان الإسلام دين دعوة وتبشير وكم بالحرى لو انتفعنا بهذه المزية وأدخلناها فى النصرانية .

وتناقش المؤتمر بعد ذلك بشأن المتنصرين المضطهدين ووسائل استخدام المخلصين منهم وإدخال الأطفال الذين اعتنقوا المذهب البروتستانى فى المدارس العادية والصناعية

شروط التعمد

بسط القسيس « جصب » القول فى هذا البحث وسأل عن الشروط التى يجب أن تتوفر فى المسلم المتنصر ليكون أهلا للتعميد ثم قال : إن المبشرين الكاثوليك يعمدون الناس ليجعلوهم مسيحيين أما نحن فنعمدهم لأنهم مسيحيون . وذكر بعد ذلك أيام التجربة والمعلومات الدينية التى يجب على المتنصر معرفتها وبحث فيما إذا كان يحق له أن يتلقى سر التناول .

واستطرد المؤتمر إلى مسئلة تعدد الزوجات عند المسلمين ، وعن موقف المرأة التى تعمد زوجها هل يفرق الإسلام بينها وبينه أم لا ؟ وعما إذا كان يجوز للمتنصر أن يتزوج ثانية أم لا ؟ فتقرر أن هذه المسائل عويصة وقد سبق الخوض فيها فى مؤتمر « لمبث » سنة ١٨٨٨

وأن الظروف تقضى باعتبار المسلم المتنصر وهو ذو زوجات متعددة بأنه تحت تجربة إلا إذا كان تنصره فى ساعة الاحتضار . أما هذه المسائل نفسها فقد تركت بدون حل .

كيف يتقرب المسلمون ؟

خطب القسيس « هاريك » فى هذا الموضوع فعرض على المؤتمر نتيجة أبحاثه التى

أجراها فى بلاد السلطنة العثمانية فمنها أنه عرف أن لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التى وضعها الدكتور « بفندر » المبشر ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية فى وجه المبشرين والذين ينتمون إليهم .

أما ترجمة الإنجيل وكتب التبشير إلى اللغة التركية بدون مناقشة ومجادلة فكانت أكثر فائدة وأعم نفعاً وقد تبين أنه بمجرد اشتراء المسلمين لهذه الكتب ومطالعتها لها صارت تتبدد أوهامهم القديمة . ثم قال إن الجدل والمناظرة يبعدان المحبة التى لها وقع كبير على قلوب الأغيار وتأثير عظيم فى نشر النصرانية فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر لأن طريق الاعتقاد غايته دائماً هو قلب الإنسان . وقال بعد ذلك : يرى بعضهم أن الموازنة بين حياة وأخلاق الأمم النصرانية وحياة وأخلاق الأمم الإسلامية تنتج دائماً رجحان النصرانية على الإسلام .

وأنا أيضاً أوافق على رأى هؤلاء ولكن من الوجهة المادية . وفى هذه الأيام نجد جمهوراً عظيماً من متنورى المسلمين يرغب فى المناظرة والجدل . والعثمانيون يشيرون بازدراء إلى ما حدث فى بلاد الروس النصرانية فى السنة الماضية خصوصاً فى أوربا « يريد اضطهاد نصارى روسيا ليهودها » ويقولون لنا هذه هى نصرانيتكم وأنتم الذين كنتم قبل زمن قليل تتهموننا بلا شفقة بأنا أرقنا قليلا من الدماء أثناء استغلالنا بقمع فتنة . وعلق القسيس على ذلك بوجوب تحلى حياة المبشر بمبدأ المسيحية قبل أن يعنى بالأمور النظرية كيما يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستوراً سياسياً بل هى الحياة كلها . وأنها تحب العدل والطهر وتمقت الظلم والباطل ، نفتح للمسلم مدارسنا ونتلقاه فى مستشفياتنا ونعرض عليه محاسن لغتنا ؛ ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل .

بهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين ولو أن أحداً أظهر لنا شغفاً وميلا عظيماً إلى طرد كل العثمانيين من أوربا ومن وجه الأرض كلها يجب أن نجيبه قائلين بل سنتحد إن شاء الله مع العثمانيين وندعوهم بكل إخلاص للاشتراك معنا فى اقتباس أنوار النصرانية .

موضوعات تبشيرية

خاض المؤتمر بعد إتمامه الموضوع السابق فى موضوعات كثيرة منها كيفية عرض العقيدة النصرانية والمناظرة فيها والوسائل التى يجدر التذرع بها لنشر مبادئها والتحكك بالنفوس الإسلامية والوقوف أمام صبغة الإسلام والصفات التى ينبغى أن يتصف بها مبشر المسلمين بالنصرانية والإنجيل .

ثم قام القسيس « ثرونتن » وعرض على المؤتمر هذه النظريات الأولية .

١ ــ الشعب البسيط يلزمه إنجيل بسيط .

٢ ــ الشرق سئم المجادلات الدينية .

٣ ــ الشرق يحتاج إلى دين خلقى روحى .

واستنتج من هذه النظريات الأولية القواعد الآتية :

١ ــ يجب أن لا نثير نزاعاً مع مسلم .

٢ ــ يجب أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضاً وبعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت فى ذلك المسلم .

٣ ــ إذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحى فيجب أن يزال فى الحال ولو أفضى الأمر إلى المناقشة .

أما « لفروا » أسقف مدينة لاهور فيرى أن المبشر الذى يعد نفسه لمجادلة المسلمين فى أمور الدين يجب أن تتفوق فيه الصفات الخلقية والاستقامة التامة على المزايا العقلية ، وأن يكون مقتنعاً بصحة البراهين التى يحتج بها وأن يكون صحيح المجاملة وأن يضع الأمل بالفوز على خصمه نصب عينيه ويحاول حمل خصمه على الرضوخ للحقيقة . وهذا الأسقف يستنكر قسوة التعاليم القديمة ويرى أنها كانت ترمى إلى التغلب على العدو لا إلى اكتساب مودته . ثم قال : ويظهر لى أن كثيراً من إخواننا المبشرين يريدون أن يبشروا الناس برشقهم بالحجارة لا بعرض الحقيقة عليهم . نعم إن هذه الطريقة قد تفيد ولكنى أشك فى موافقتها للتبشير وبما ينتج عنها من الحالات النفسية .

وختم كلامه قائلا : يجب على المبشر أن يتذرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكماً على عواطفه إلى الغاية القصوى . وأن لا يخالج نفسه أقل ريب فى أنه هو الذى سيفوز .

وهذا كان آخر مناقشات المؤتمر . ثم قام القسيس زويمر رئيس المؤتمر وقال :

إن انعقاد هذا المؤتمر كان بالتقريب نتيجة لأعمال (شبان التبشير المتطوعين) أما البحث فى أحوال العالم الإسلامى وتبشيره بالنصرانية فقد سبق الخوض فيه فى مؤتمر كلفلند . وهذه الخريطة التى نراها أمامنا الآن موسوعة باسم « **خريطة تنصير العالم الإسلامى فى هذا العصر** » قد بعثت الأمل فى قلوب ألوف من الطلبة فى مؤتمر ناشفيل الذى انعقد فى شهر فبراير (شباط) الماضى . والتبشير متوقف على وجود زمرة من المبشرين المتطوعين الذين يقفون حياتهم ويضحونها فى هذا السبيل ، ثم ختم كلامه راجياً أن يكون لندائه صدى فى المدارس الجامعة فى أوربا وأمريكا .



العالم الاسلامى اليوم

(العالم الإسلامى اليوم) عنوان كتاب نشره القسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير فى البحرين بمؤازرة زملاء له جمعوا فيه تقارير ومباحث تاريخية واجتماعية كتبها المبشرون عن حال المسلمين القاطنين فى مناطقهم التبشيرية ،وتتلو هذه التقارير خلاصة من أعمال المبشرين التى قاموا بها فى الأصقاع المختلفة وما نتج عنها من انتشار الدين المسيحى . وقد أنشأ جامعو هذا الكتاب مقدمة له ألحوا فيها بضرورة تنصير المسلمين الذين أهمل المبشرون أمرهم ، وهذه الفكرة قد توسع بها أخيراً إمبراطور أهم إمبراطورية أوربية فى خطاب ألقاه على بعض المبشرين ، فكانت تشف عن الحكم على الإسلام من الوجهة الخلقية عامة والدينية خاصة . أما هذه الفكرة فهى أنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامى الذى اقتحم قارتى آسيا وأفريقية الواسعتين ، وبث فى مائتى مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم ، أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ، ومسترسلة سفوحها فى مهاوى تعدد الزوجات وانحطاط المرأة . تلك هى الفكرة التى أشار إليها ناشرو الكتاب فى المقدمة وأردفوها بقولهم : إن الكنيسة المسيحية ارتكبت خطأ كبيراً بتركها المسلمين وشأنهم إذ ظهر لها أن أهمية الإسلام فى الدرجة الثانية بالنسبة إلى ثمانمائة مليون وثنى رأت أن تشتغل بهم . رأت هذا وهى لم تعرف عظمة الإسلام وحقيقة قوته وسرعة نموه إلا منذ ثلاثين سنة فقط . على أن أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن فى ممالك الإسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر ، وأن العالم ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مسلم يرتقبون الخلاص .

وفى هذه المقدمة بعض ملاحظات ونصائح للمبشرين ، منها :

٣ — تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

٤ — ينبغى للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء ، وأن تنصير أمثال : كامل فى بيروت وعماد الدين فى الهند وميرزا إبراهيم فى تبريز وأعمالا أخرى من هذا القبيل من شأنها أن تولد لنا مجهودات جديدة يجب علينا أن نحمد بسببها نعمة الله علينا :

الاسلام فى مصر

هذا الفصل من كتاب « العالم الإسلامى اليوم » يتضمن ملخص أعمال المبشرين البروتستان فى مصر ، والوسائل التى يتذرعون بها ، والنتيجة التى توصلوا إليها . وأهم معاهد التبشير فى مصر هو الذى أسسته جمعية اتحاد مبشرى أمريكا الشمالية سنة ١٨٥٤ . وكان المبشرون قد وضعوا نصب أعينهم تبشير المسلم واليهودى والنصرانى اسماً ، وقد استطاعوا أن يتحككوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم ومدارسهم . فنشروا منذ ٣٥ سنة كتاب « شهادة القرآن » ووزعوا بعض نسخ من كتاب « الكندى » وكتاب « ميزان الحق » المطبوعين فى انكلترا ، ووضعوا فى الأيام الأخيرة كتاب « الهداية » وهو فى أربعة أجزاء ألف فى الرد على الذين طعنوا فى النصرانية . والمحاضرات العامة التى يقيمها المبشرون مرتين فى كل أسبوع للموازنة والمناظرة بين الإسلام والنصرانية يحضرها عدد عظيم من المسلمين ويسمح لهم أن يتكلموا . وفى مدارس المبشرين فى القطر المصرى ٣٠٠٠ طالب مسلم وخمس هؤلاء من البنات المسلمات .

وكانت نتيجة هذه المجهودات منذ بداية التبشير إلى أيامنا هذه أن تنصر مائة وخمسون مسلماً ، وأهم ما وقع من ذلك سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فقد تنصر فى الأولى ١٤ شخصاً وفى الثانية ١٢ .

وفى سنة ١٨٨٢ تأسس فى مصر معهد علمى للتبشير تابع لجمعية تبشير الكنيسة وله أربعة فروع : الأول : قسم طبى ، والثانى : مدرسة للصبيان ، والثالث : للبنات ، والرابع : لنشر الإنجيل ، وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة بهم .

والنتيجة الأولى لمساعى هؤلاء هى تنصير قليل من الشبان والفتيات ، والثانية تعويد كل طبقات المسلمين أن يقتبسوا بالتدريج الأفكار المسيحية .

وبعد المعهدين السابق ذكرهما تأتى **جمعية تبشير شمال أفريقية** ، وهذه الجمعية أسست معهداً فى مصر سنة ١٨٩٢ وأهم وظائفها تنصير المسلمين ، ولهذه الجمعية ثلاثة وكلاء فى الإسكندرية واثنان فى شبين الكوم ، وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الإنجيل بوجه خاص ، وأن يزور المبشرات منازل المسلمين ويجتمعن بسيداتهم وأن يوزعن المؤلفات والكتب التبشيرية على المسلمين وأن يلقين محاضرات دينية لدرس الإنجيل فى أيام الأسبوع وأن تقام الصلاة ، وهذا المعهد قد نجح فى تنصير خمسة أشخاص .

وفى سنة ١٨٩٨ تأسست **الجمعية العامة لتبشير مصر** وغايتها تنصير المسلمين أيضاً ، ولها معاهد فى الدلتا والسويس وتدبر مدارس للصبيان والبنات وتبث فيهم مبادئ النصرانية ، ولها خزائن كتب تحوى كتباً عربية ذات علاقة بالإسلام ، ولها مجلة شهرية منتشرة جداً وخاصة بين المسلمين ، وفى كل يوم سبت يطوف المبشرون للتفتيش . وأقل إرساليات التبشير أهمية فى القطر المصرى الإرسالية الهولندية التى توطنت فى قليوب وفى مدارسها المتعددة تلاميذ من كل المذاهب وهى تبشر الإنجيل فى القرى بواسطة بائعى الكتب ، ومن أعمالها أنها أنشأت ملجأ للأيتام . وعنايتها متوزعة بين الأولاد المسلمين والنصارى على السواء :

أما العقبة الوحيدة التى تقف فى سبيل إرساليات التبشير فهى أنه ليس لديها قوة تزيل الضرر الذى يحفها من مقاطعة المسلمين للمتنصرين وعدم إصغائهم لهم :

الإسلام وإرساليات الهند

من الذين ألقوا فى هذا الموضوع المستر « م. هورى » فإنه تكلم عن حالة التبشير فى شمالى الهند وعن انتشار الإسلام ووسائل نشره وأشار إلى دراويش جمعية « انجمن إسلام » . وذكر التقدم الفكرى والاجتماعى الذى حدث فى هذه الجهات وأن الإسلام عرقل سير هذه الميول .

ثم لخص هذا المبشر تاريخ التبشير فى الهند فقال إنه ابتدأ منذ مائة سنة عندما نال

« جيروم كزافيه » اليسوعى إذناً بالتبشير فى لاهور ففتح باب الجدال فى مسائل التوحيد والتثليث وألوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة فتسبب عن ذلك قيام « أحمد بن زين العابدين » وتأليفه كتاب (الأنوار الإلهية فى دحض خطأ المسيحية)

إلا أن المبشر البروتستانى الذى يتكلم فى تاريخ التبشير فى الهند لم ترق له الأعمال التى قام بها المبشرون الكاثوليك وقال إن دفاعهم عن عقيدة عبادة العذراء والآثار والصور وعن الأماكن المقدسة كان من شأنه إظهار النصرانية بغير مظهرها الحقيقى .

ثم جاء المبشر « هنرى مارتين » فوضع أساساً قوياً للتبشير بالإنجيل فترجمه إلى الفارسية والأوردية .

ثم جاء بعده « بفندر » فترجم كتابه (ميزان الحق) من الفارسية إلى الأوردية ، وزاد عليه ترجمة كتاب (طريق الحياة) و (مفتاح الأسرار) وبهذا أثار « بفندر » مجادلات شديدة مع علماء الإسلام فى « دهلى » و « أكرا » و « لكنو » وزلزل بذلك إيمان كثير من المسلمين وإن يكن الذين تنصروا منهم قليلا عددهم . وأعان المبشرين فى هذه المجادلات المسلمون المتنصرون مثل السيد مولوى صفدر على ومولوى عماد الدين وسيد عبد الله أثيم ومنشى محمد حنيف والدكتور برحدار خان .

وفى شمال الهند الآن ما لا يقل عن ١٢ جمعية تبشيرية بين إنكليزية وأمريكية وأوسترالية وكلها ترمى إلى غاية واحدة .

واجتهدت هذه الجمعيات بتنصير المسلمين ، منذ وطئت البلاد ، ويتبين من تقارير هذه الإرساليات أن من المسلمين المتنصرين من وصل إلى درجة المبشر . وقد اختصت هذه الجمعيات المسلمين بكتب يطالعونها ، وهى معروضة لهم فى مكتبات التبشير .

وقد اشتد انتباه المبشرين إلى مكافحة الإسلام فى الأيام الأخيرة فنمت فيهم فكرة الاختصاص بتبشير المسلمين على أثر كتابات الدكتور « مُردوتش » وبادرت جمعيات متعددة إلى إرسال مبشرين اختصاصيين لهذا الغرض .

أما عدد المسلمين المتنصرين فلا يمكن معرفته من الاعتماد على الإحصائيات ، ولكنا عثرنا فى تقارير سنة ١٩٠٤ على أسماء إسلامية صار أصحابها قسيسين مبشرين . وعدد المبشرين الذين من هذا القبيل ١٩٤ ، ويرى القارئ أسماء إسلامية فى قوائم أعضاء اللجان الدينية فى بشاور وغيرها . وقرأ المولوى عماد الدين فى « برلمان الأديان » فى شيكاغو سنة ١٨٩٣ أسماء خمسين من المسلمين المتنصرين الذين امتازوا بإخلاصهم للتبشير .

أما ثمرة التبشير فى أواسط الهند فهى أضعف بكثير من ثمرة التبشير فى شمالى الهند بالرغم من اجتهاد جمعية « تبشير الكنيسة » التى فى مدراس وحيدر آباد ، وبالرغم من تفانى إرسالية زنانة التبشيرية التابعة للكنيسة الإنكليزية . وكل المتنصرين فى أواسط الهند عدد قليل فى جهتين أو ثلاث ، وفوق ذلك فإنه يكثر فى هذه الجهات انتقال النصارى إلى الإسلام لأسباب مالية ومصالح شخصية ، وجمعية « انجمن إسلام » تنجح دائماً بما لها من النشاط فى حمل عدد كبير من الهندوس والمسيحيين على اعتناق الإسلام ، ومؤتمر المبشرين الذى عقد فى القاهرة لم يفته البحث فى حركة الإصلاح التى دخلت فى مسلمى الهند والإشارة إلى « السير سيد أحمد خان » زعيم تلك النهضة وما تبذله مدرسته الإسلامية فى « عليكرا » ومؤتمر التربية الإسلامية . ولقد خطب القسيس « ويتبرتشت » فى مؤتمر القاهرة بموضوع « الإسلام الجديد » فذكر أن تعاليم أوربا تقرب المسلمين من النصرانية . ثم قال :

١ — يجب علينا أن ننشئ جسراً فوق الهاوية التى تفصل بين العناصر ، وللتوصل إلى ذلك يجب أن ننتفع من وجود الطلبة المسلمين فى إنكلترا .

٢ — أن يدرس الإنجيل على حدة أو على جماعات قليلة العدد .

٣ — أن تلقى محاضرات ودروس منظمة بمراقبة رجال ممتازين ، وأن تصرف العناية إلى المناقشات .

٤ — توسيع نطاق المطبوعات بالأوردية مثل مجلة « ترقى » وأن يترجم تاريخ التوراة للدكتور بلاكى وأن يتذرع لترويج ذلك بنشر الجرائد والكتب الإنكليزية التى يأنس بها المسلمون المتعلمون .

بلاد الترك العثمانية

وضع القسيس « أنا توليكوس » تقريراً فى هذا الموضوع لخص فيه أعمال وحركة التبشير فى بلاد الترك العثمانية ولم يتوسع فى تقريره لأن هنالك أسباباً سياسية وغير سياسية تمنعه من ذلك ، ومما قاله : إن الكتاب المقدس راجت نسخ ترجمته التركية رواجاً حسناً وهى تباع بالألوف ، وبنى على ذلك أن الأتراك الذين يحترمون القرآن احترام القروى الكاثوليكى فى أواسط أوربا للإنجيل يعرفون قدر مطالعة الكتاب المقدس .

سوريا وفلسطين

تقف فى طريق تبشير هذه البلاد عقبات خاصة بعضها من الحكومة والبعض الآخر ناشئ عن حالة البلاد وموقفها الحاضر فسوريا وفلسطين مملوأتان بالمذاهب المختلفة وللدين فيهما ارتباط بالسياسة وأهم الوسائل التى يستخدمها المبشرون لتذليل هذه الصعوبات هى :

١ — توزيع نسخ الكتاب المقدس .

٢ — التبشير من طريق الطب لأن ذلك فى مأمن من مناوأة الحكومة له ، والمسلمون يلجأون بأنفسهم إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم .

٣ — الأعمال التهذيبية كالمدارس والكليات التى تقبل أبناء المسلمين ، وكان فى مدارس « صيدا » فقط فى السنوات الأخيرة ٢٥٠ تلميذاً من كل الطوائف فوصل عدد المسلمين فى السنوات الثلاث الفائتة إلى ٩٨ بعد أن كانوا ٤٥ وهذه الزيادة ناشئة عن إقبال مسلمى مصر على مدارس المبشرين فى سوريا .

٤ — الأعمال النسائية مثل زيارة المبشرات لمنازل المسلمين وإلقائهن المحاضرات الخاصة .

٥ — توزيع الكتب والمؤلفات التبشيرية :

وختم صاحب التقرير آراءه بقوله :

إننا — إذا سُئلنا عن نتائج مجهودات مبشرى المسلمين بالنصرانية فى سوريا وفلسطين — لا نجد جواباً غير القول بأن الله وحده هو المطلع على مستقبل أعمالنا بين المسلمين ، وعلى نتائجها . وأن الله لم يبارك داود النبى لكثرة عدد قومه .أجل إننا إذا تصفحنا الإحصائيات يتبين لنا أن عدد المسلمين الذين تنصروا وتعمدوا هو عدد غير مسر وغير مرض إلا أن هذا العدد مهما يكن قليلا بذاته فإن أهميته مما يتصور المتصورون

وصفوة القول إننا حصلنا على نتيجة واحدة جوهرية وهى أننا أعددنا آلات العمل فترجمنا الإنجيل ، ودربنا الوطنيين على مهنة التبشير ، وأتممنا تهيئة الأدوات اللازمة وهى الكنائس والمدارس والمستشفيات والجرائد والكتب ، ولم يبق علينا إلا أن نستعمل هذه الأدوات .

الجزيرة العربية

قال وليم جيفورد بالكراف . « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه »

قال مؤلف كتاب « العالم الإسلامى اليوم » : وقد أدرك أهمية هذه الفكرة القسيس « يانغ » صاحب التقرير عن التبشير فى جزيرة العرب فجعلها نصب عينيه فى كل الأعمال ولكننا نتساءل عما إذا كان قد حان الوقت للعمل بها وعما تكون نتيجة التبشير حينئذ .

وقد سبق للقسيس « زويمر » رئيس إرسالية التبشير فى البحرين أن ألف كتاباً سماه « مهد الإسلام » وسيأتى الكلام على هذا الكتاب بعد أن أتى فيه على تاريخ إرساليات التبشير فى جزيرة العرب ، وما تطمع به هذه الإرساليات ، وأشار بوجه خاص إلى **إرسالية التبشير** العربية وهى الإبنة الممتازة لكنيسة الإصلاح الأمريكية ولها فروع أربعة أقدمها عهداً « **جمعية تبشير الكنيسة** » التى تفرع عنها فرع آخر فى فارس سنة ١٨٨٢ وقد استقلت هذه الجمعية بأعمالها باسم « **جمعية التبشير العربية العثمانية** » ولها فى بغداد أربع إرساليات وفى الموصل واحدة . وفى سنة ١٨٨٥ ذهب إلى عدن « ايون كيث فالكونر » وهو الابن الثالث للكونت « كنتور » فأسس هناك إرسالية تبشير اسكوتلندية سماها باسمه وهى مؤلفة من طبيبين مبشرين وتبعتها « **إرسالية التبشير العربية** » التى أسست سنة ١٨٨٩ وهى تابعة لكنيسة الإصلاح الأمريكية فانتشرت فى البصرة والبحرين ولها فى البحرين خمسة مبشرين إثنان منهم طبيبان وإثنان امرأتان ولها فى البصرة أربعة مبشرين أحدهم طبيب وفى « الشيخ عثمان » إرسالية تبشير دانماركية كان سلطان « مكلا » طردها من بلاده (١) . وتوجد فى الجزيرة إرسالية أخرى تمدها جمعياتها بالمال والإعلانات :

وانتقل المؤلف بعد هذا البيان إلى ذكر النفقات الجسيمة التى تتكبدها إرساليات التبشير فى جزيرة العرب . ومما قاله : إن مرتبات المبشرين والموظفين عندهم وبائعى كتبهم تساوى ثلاثة أضعاف مرتبات أمثالهم فى الهند : ومما يخفف أمر هذه النفقات أن المبشرين فى بلاد العرب اتخذوا لهم مراكز تمهد لهم سبيل التوغل فى داخل الجزيرة . وكل الإرساليات هناك على اختلاف نزعاتها وأشكالها ومعاهدها الطبية والتهذيبية والأدبية ترمى إلى غاية واحدة . والمرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين فى الموصل

---

(١) الشيخ عثمان : اسم مكان فى جوار عدن . والمكلا : ثغر فى حضرموت شرق عدن .

وبغداد والبصرة والبحرين والشيخ عثمان وعدن ، وعندما يرحل الأطباء جائبين البلاد ينثرون فى النفوس نذوراً يمكن للمبشرين وبائعى الكتب أن يحصدوها بعد ذلك وينمو غراسها .

والتعليم المدرسى والتربية الأخلاقية اللذين يعنى بهما المبشرون قد أسفرا عن نتائج جمة وأثمرا ثمرات نافعة فى الأطفال والمراهقين على السواء .

وقال القسيس « زويمر » إنه جمع تلاميذه المسلمين مرة ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية ثم حول عليها نوراً قوياً وبرهن لهم بذلك على أن الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتياً من عند الله لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة فى بعض البلاد . وقال أيضاً : إن المحاضرات التى يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحرى والخرائط الإحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الإسلام كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستانى . وقال المؤلف عن نتائج أعمال المبشرين فى بلاد العرب : إن من المتعذر تعيين نتائج هذه الأعمال الخيرية إلا أن مما يدعو إلى الاغتباط والسرور أننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا فى كل منطقة من مناطق التبشير . فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح والاهتمام الحقيقى بالتعاليم النصرانية ، وفى كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والكراسات والمجلات . ويهتم المبشرون الآن بإقامة مستشفى فى الشيخ عثمان ، لأنه بينما كان عدد المرضى الذين عرضوا أنفسهم على أطباء المبشرين يبلغ ٢٠٠٠ فقط فقد صاروا الآن ٤٠٠٠٠ .

فارس

أنشأ القسيس « سن كلير تيسدال » تقريراً عن التبشير فى فارس وهو لا يختلف عن التقارير المتعلقة بتبشير البلاد العثمانية من حيث قلة مادته .

بذلت إرساليات التبشير جهدها فى بلاد فارس ونجحت فى تبديد ما يعتقدونه فى النصارى من أنهم مشركون بالله ويعبدون آلهة ثلاثة . وهذا الاعتقاد وقر فى نفوس المسلمين لما يشاهدونه فى الكنائس الشرقية والكاثوليكية إلا أنهم عادوا الآن فصاروا يفرقون بين الفرقتين النصرانيتين وتبين لديهم أن البروتستانية خالية من الوثنية فارتاحوا لهـا .

قال صاحب التقرير : إنه لما عين سنة ١٨٩٢ سكرتيراً لجمعية تبشير الكنيسة كان الاعتقاد السائد هو أنه يستحيل أن يتنصر المسلم ويتعمد إلا إذا عرض نفسه للموت . ولكن الاضطهاد قد خف الآن وصارت أبواب فارس مفتوحة للمبشرين بالإنجيل أكثر من غيرها . واكتسب المبشرون محبة الناس لهم بسبب الأعمال الطبية التى تصدر عن المبشرين فتجعل الأعداء أيضاً يعترفون بأن النصرانية مصدر عمل صالح . ومهما يكن عدد المتنصرين لا يزال قليلا فإن هنالك جمعيات صغيرة مسيحية اندمج فيها المتنصرون الفارسيون من نساء ورجال . وهذه الجمعيات الصغيرة منتشرة فى كل مكان وصل إليه المبشرون ، وفوق ذلك فإن عدداً عظيماً من المسلمين ينتمى إلى النصرانية سراً ويقال إن بينهم من لا يتأخر عن إعلان نصرانيته عندما تنتشر حرية الأديان فى فارس .

والوسائل التى يتذرع بها المبشرون هنا هى الإرساليات الطبية من نساء ورجال ورحلات المبشرين والأعمال النسائية ورجال التبشير يتحككون بالمسلمين ويحاولون الحصول على مودتهم ويستخدمون فريقاً منهم فى مكاتب التبشير ويدخلون معهم فى المناقشات الدينية إلا أنهم لا يجرحون عواطفهم . والهمة لنشر الإنجيل والتوراة وسائر كتب التبشير باللغة الفارسية والاعتناء بتعليم الذين تنصروا ولا يزالوا فى دور التجربة .

وأنكر القسيس زويمر على صاحب هذا التقرير إغفاله ذكر المدارس وما لها من التأثير إذ أن المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون فى التحكك بالمسلمين . وقد قال أحد المبشرين : المدارس هى من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين وقد كان عدد التلاميذ فى المدرسة التبشيرية فى طهران قبل سنتين فقط ٤٠ إلى ٥٠ فصاروا الآن ١١٥ وكلهم يتلقون التربية النصرانية بكل إتقان . وكذلك الحال فى مدرسة تبريز التى يديرها هذا القسيس ، فقد كان فيها ٣ تلاميذ من المسلمين ثم صاروا ٥٠ ومثل ذلك مدرسة أورمية فإن فيها ٥٠ طالباً وفى مدرسة البنات ٣٥ تلميذة وفى مدرسة بنات فى طهران ٢٥ تلميذة .

وأنكر مبشر آخر على صاحب التقرير قوله : إن البهائيين يتقربون من التوراة أكثر من غيرهم ، وزاد على ذلك أنه لا يوجد من يعتبر البهائيين أسمى أخلاقاً من المسلمين . بل الحقيقة على عكس ذلك .

صومترا

يمتاز التقرير الذى وضعه القسيس الألمانى «سيمون» عن مبشرى هذه البلاد بدقته فى الكلام عليهم وبيان أعمالهم بالأرقام . ومما قاله : إن جمعية المبشرين الألمانية نصرت مائة شخص منذ تأسست سنة ١٨٧١ إلى وقت كتابته التقرير . ولجمعية التبشير الهولندية فقط أن تبشر على الساحل الشرقى من الجزيرة ، والذين نصرتهم لجنة تبشير جلوا ٥٠٠ شخص منذ سنة ١٨٦٠ . وأما جمعية « ينش » الألمانية فتفوق على تلك باتساع نطاق أعمالها لأن لها ٣٦ فرعاً أربعة منها لتبشير المسلمين بوجه خاص وقد تمكنت من تنصير ٦٠٠٠ مسلم ولديها الآن ١١٥٠ مسلماً فى دور التجربة ، ولجمعية التبشير بالتوراة وهى إنكليزية مندوبون فى مناطق أعمال الإرساليات الألمانية يبيعون الكتاب المقدس .

وقد تحسنت خطة هولندة مع المبشرين عما كانت عليه فى أواسط القرن الماضى ، فصارت تشد أزر المبشرين وتساعد مدارسهم وإرسالياتهم الطبية وتعد ذلك من عوامل نشر المدنية .

وللمبشرين هنا ثمانون كنيسة وأدخلوا بينهم من الوطنيين خمسة قسس وسبعين مبشراً هذبوهم فى مدارس خاصة بهم . وإرساليات التبشير تجبى من المسيحيين فى صومترا ضريبة وضعتها على الأرز للاستعانة بها على التبشير ! وتستوفيها نقداً أو من عين المال .

ويقول واضع التقرير : إن ميل المسلمين إلى النصرانية قد ظهر جلياً وقوى تياره واتفق أنه فى بعض الأوقات يتنصر العريس وقرينته المسلمة فى وقت واحد . ويتقرب المبشرون الألمان إلى المسلمين بالمدارس والإرساليات الطبية ، وهذه الإرساليات الطبية — كما يقول عنها صاحب التقرير — مثل الشوك فى أجسام زعماء المسلمين الذين يسلون أنفسهم قائلين : إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا . إلا أن للإرساليات الطبية بالرغم من ذلك تأثيراً شديداً على المسلمين لأنها تظهر الفرق بين أغراض الزعماء الشخصية وبين خدمة الأطباء المبشرين الذين لا عرض لهم فى النفس .

جاوا

لا يختلف موقف المبشرين فى هذه الجزيرة عن موقف زملائهم فى « صومترا » من حيث الوسائل التى يتذرعون بها ، ومن حيث خطة الحكومة فى معاملتهم ، وفى جاوا ٤٦ مبشراً و ١٥٠ مساعداً لهم و ٢٠ من مجموع هؤلاء اختصوا بتبشير المسلمين دون غيرهم . وفى الإحصائيات أن عدد المسلمين المتنصرين بلغ ١٨٠٠ شخصاً . وآخر ما جاء فى هذا التقرير أن اعتقاد المسلمين بالله دون أن يعتمدوا فيه على الكتاب المقدس لا يعد خطوة نحو النصرانية ولا ابتعاداً عن الهوة التى تفصل الوثنيين عن النصرانية وأن هنالك سلطة قوية يهيئها الشيطان !! ليهلك بها النفوس ويبعدها عن نور العالم يسوع المسيح .

مؤتمر أدنبرج سنة ١٩١٠

عقد هذا المؤتمر فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه ، بل إن لجنتين من أهم لجانه تفرغت إلى البحث فى أمر الإسلام والمسلمين .

وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته فى تسعة مجلدات لم نتمكن من الحصول عليها ، إلا أننا عثرنا على مجلات ثلاث تكلمت عن هذا المؤتمر : واحدة ألمانية وهى «**مجلة الشرق المسيحى**» التى تصدرها جمعية «**التبشير الشرقية الألمانية**» ، والثانية إنكليزية وهى «**مجلة العالم الإسلامى**» المعروفة ، والثالثة سويسرية وهى «**مجلة إرساليات التبشير البروتستانية**» التى تصدرها **جمعية التبشير** فى مدينة بال فى سويسرا .

وأعمال مؤتمر أدنبرج لم يكن حبراً على ورق بدليل أن المؤتمر الاستعمارى الألمانى الذى عقد عقب مؤتمر أدنبرج التبشيرى اهتم بأمر إرساليات التبشير الجرمانية حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الاستعمارى السياسى تحول إلى مؤتمر تبشيرى دينى .

أقوال المجلة الألمانية :

مجلة الشرق المسيحى هى التى تنشرها جمعية التبشير الشرقية الألمانية منذ سنة ١٩١٠ ولهذه الجمعية إرساليات تبشير وملاجئ للأيتام فى السلطنة العثمانية وفارس وبلغاريا وروسيا .

قالت هذه المجلة فى مقالة عنوانها «الشرق المسيحى وإرساليات تبشير المسلمين» :

إن أعمالنا قد ازدادت أهمية بين مسلمى البلغار بنعمة الله تعالى الساطعة ، وذلك وينتشر الإنجيل بين الشعوب الإسلامية ! وأن هذا الارتقاء التاريخى وما نعمله فى أرمينيا وسوريا وروسيا قد جعلنا نزيد فى اسم مجلتنا «الشرق المسيحى» وندعوها بعد الآن «**الشرق المسيحى وإرسالية التبشير الإسلامية**» وسيعهد بتحرير القسم الإسلامى فيها إلى القسيس إفتارنيان .

ونشرت هذه المجلة مقالة أخرى بقلم فون «لبسيوس» الألمانى عنوانها «دخول التبشير العام فى طور جديد» ذكر فيها أهمية مؤتمر أدنبرج وأنه أبان عن ارتقاء فى أعمال المبشرين .

ومن هذه المقالة نعلم أن مؤتمر أدنبرج كان فيه ١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الإنكليز و ٥٠٥ من الأمريكان ومن مندوبى التبشير الأمريكيين «المستر روزفلت» رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق لكنه أرسل رسالة اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور . إلا أن المستر براين استطاع أن يحضر — وهو خطيب أمريكا المشهور وقد رشح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة مراراً — وعلى هذا فالمندوبون الذين يتكلمون الإنكليزية كانوا أكثر من ألف ، والذين يتكلمون الألمانية كانوا ٩٨ والآخرون يتكلمون بلغات مختلفة ، ولذلك تقرر أن تكون الإنكليزية لغة المؤتمر .

وتقول هذه المجلة : إن إرساليات التبشير الإنكليزية والأرلندية تنفق فى السنة ٢،١٠٠،٠٠٠ جنيه فى سبيل التبشير . وجمعيات التبشير الأمريكية والكندية تنفق ٢،٠٠٠،٠٠٠ جنيه . وجمعيات التبشير الأوسترالية والأفريقية والآسيوية والهولندية تنفق ٣٠٠،٠٠٠ جنيه وما تنفقه جمعيات التبشير البروتستانية فى باقى القارة الأوربية يبلغ ٧٠٠،٠٠٠ جنيه .

واقتبس صاحب هذه المقالة من مستندات مؤتمر أدنبرج عدد جيش المبشرين البروتستانت فقال إنه يبلغ ٩٨،٣٨٨ مبشراً تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥،٥٠٠،٠٠٠ شخص ويبلغ عدد النساء والرجال الوطنيين وغير الوطنيين من موزعى التوراة الذين يشتركون فى التبشير والوعظ ٩٢،٩١٣ وعدد المعاهد الكنسية ١٦،٦٧١ وعدد [illegible] ٣٢،٠٠٩ وعدد الأساتذة والتلاميذ الذين هم تحت إشراف المبشرين ١،١٩٠،٦٠٢ ... مدرسة جامعة وكلية وفيها ٧،٩٩١ طالباً ولديهم ٤٨٩ مد... النصرانية وتخريج المعلمين والمبشرين وفيها ١٢،٥٤٣ طال...

وازدياد أهمية التبشير كان بوجه خاص عقب تأسيس المدرسة الدينية الإسلامية وما يأتيه هذا القسيس من الأعمال بمساعدة الشيخ أحمد كاشف والمدرس نسيمى أفندى بقصد مقاومة الإسلام، يبرهن لنا على أنه قد أزف الوقت الذى يزعزع فيه الإسلام من أركانه

...توجد تحت سلطتهم ٨١ ...رسة دينية لتعليم لاهوت ...اً وهى تهيمن أيضاً على

١,٥٩٤ مدرسة ثانوية فيها ١٥٥,٤٢٠ طالباً و ٢٨,٩٠١ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها ١,١٦٥,٢١٢ وعدا ذلك فالمبشرون يديرون ١١٣ مدرسة من النوع الذى يسمى روضة الأطفال وفيها ٤,٧٠٣ أطفال . وأسست هذه الإرساليات ٥٥٠ مستشفى و ١٠٢٤ صيدلية لها ٤,٠٠٠,٠٠٠ من الزبائن ، ولديها ١١١ مجلساً طبياً و ٩٢ جمعية للممرضات و ٢٦٥ ملجأ للأيتام و ٨٨ ملجأ للبرص و ٢١ ملجأ للبرص أيضاً وهى خاصة بالأطفال . وتدير ٢٥ مدرسة للعميان و ١١ معهداً للإسعاف و ١٠٣ مستوصفات لمدمنى الأفيون و ١٥ ملجأ للأرامل .

هذا كله كان سنة ١٩٠٢ . ومن يقارن بينه وبين ما وصل إليه هذا الإحصاء سنة ١٩١١ يرى أن هناك ارتقاء باهراً لأن عدد إرساليات التبشير العامة بلغ ٣٨٣٨ والإرساليات التى فى الدرجة الثانية ٣٤٧١٩ وعدد الأساتذة والتلاميذ ١,٤١٢,٠٤٤ أما الجامعات والكليات فصار عددها ٨٨ وفيها ٨٦٢٨ طالباً ولدى المبشرين ٥٢٢ مدرسة دينية لتخريج المبشرين والمعلمين ، فيها ١٢,٦٧١ طالباً وعدد المدارس العالية ١٧١٤ فيها ١٦٦,٤٤٧ طالباً وعندهم ٣٠,١٨٥ مدرسة ابتدائية عدد تلاميذها ١,٩٢٠,٣٥٧ أما المستشفيات فصار عددها ٥٧٦ والصيدليات ١٠٧٧ والمجالس الطبية لا تزال ١١١ وفيها ٨٣٠ طالباً و ٩٨ معهداً للمرضات فيها ٦٦٣ طالبة ويشرف على إرساليات التبشير ٥٢٠ جمعية عمومية عاملة و ٤٣٣ جمعية لإعانتها و ٢٢ جمعية مختلفة .

وترد على صناديق إرساليات التبشير أموال كثيرة منها ٦٠,٥٠٠,٠٠٠ فرنك فى السنة تدخل فى صناديق جمعيات التبشير البريطانية والأرلندية و ٦٧,٠٠٠,٠٠٠ فرنك فى صناديق الجمعيات الأمريكية والكندية و ٧,٢٠٠,٠٠٠ فى صناديق الجمعيات الأوسترالية والأفريقية . ولغة هذه الجمعيات كلها الإنكليزية . وأما إرساليات التبشير الأخرى فيرد على صناديقها ٢٠,١٠٠,٠٠٠ فرنك .

أقوال المجلة الانكليزية

أما المجلة الثانية فهى مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية التى تصدر منذ شهر فبراير سنة ١٩١١ ويتولى إدارتها القسيس زويمر رئيس إرسالية البحرين وقد استهل عددها الأول بما يأتى :

تبين لنا من مراجعة « مجلة العالم الإسلامى » الفرنساوية و « مجلة الإسلام » الألمانية

ومن دائرة المعارف الإسلامية الجديدة المحررة بثلاث لغات : أن زيادة العناية والاهتمام بأمر الإسلام تستدعى إصدار مجلة إنكليزية خاصة بالأبحاث الإسلامية ودرس أفكار المسلمين وعلاقاتهم بالكنيسة والخطة التى ينبغى إنتهاجها مع المسلمين وإذا كانت الكنائس المسيحية تحاول التحكك بالإسلام فيجب عليها قبل كل شىء أن تعرف مركز الإسلام :

دخلنا بعد مؤتمر القاهرة فى دور جديد ظهرت فيه أهمية تنصير المسلمين ، وشعر زعماء التبشير بأن الكنيسة لابد لها من سبر غور المسألة الإسلامية ، وأن تحسن العناية بتربية المبشرين وتتوقع خيراً من أعمالهم . ومهمة تنصير المسلمين تقضى بإيجاد ميدان مشترك للعمل تتضافر فيه الأفكار والأبحاث والمجهودات .

ومجلتنا تستحسن الاهتمام الشديد الذى أبداه مؤتمر أدنبرج ، وستجتهد هى فى متابعة البحث والمداولة فى المسائل التى بحث المؤتمر فيها ، وتواصل الجهد لجمع كلمة الذين يحبون المسلمين !! ويشتغلون لخيرهم !!

وهذه المجلة لا تمثل فرقة أو مذهباً واحداً من فرق الكنيسة وأحزابها بل هى ستكون واسعة الصدر سعة تامة .

وقد نشرت هذه المجلة مقالة بقلم المستر تشارلس وطسون تحت عنوان « العالم الإسلامى » قال فيها : إن من الخطأ الحكم على مؤتمر أدنبرج بأنه لم يهتم بالمسائل الإسلامية . لأن الغاية من عقد هذا المؤتمر هى البحث فى مسائل العالم الخارج عن النصرانية واهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين فى أعمالهم وأن نظرة واحدة توجه إلى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الحظ الكبير الذى كان للمسائل الإسلامية من أعمال المؤتمر . فقد كان المؤتمر مؤلفاً من ثمان لجان اختصت الأولى والرابعة منها بالتوسع فى بحث المسئلة الإسلامية أما مهمة اللجنة الأولى فهى أن تبحث فى المسائل الإسلامية من الوجهة الخارجية وفى إيجاد ميدان عام مشترك لأعمال المبشرين واختيار خطة « الهجوم » و « الغارة » وتقرير هذه اللجنة يتضمن إحصاء متعلقاً بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم فى كل قطر .

ومما جاء فى هذا الإحصاء أن فى جزائر « مالزيا » والهند الهولندية ٣٦,٠٠٠,٠٠٠ مسلم وهم يزداد عددهم يوماً بعد يوم بقدر ما ينقص من عدد الوثنيين . وتبين

اللجنة أن المبشرين فى الهند وقفوا جزءاً من خمسة أجزاء من أعمالهم على تبشير المسلمين فيها . ولهذه اللجنة فروع بحث بعضها فى حال الإسلام فى الشرق الأدنى وآسيا الوسطى . وقد جاء فى تقارير هذه الفروع أن المبشرين تعذر عليهم الخوض فى المسألة الإسلامية ولكن أعضاء اللجنة يؤملون زوال الصعوبات التى تقف فى طريق إرساليات التبشير .

وجاء فى تقرير اللجنة عن حالة الإسلام فى أفريقية : أن الموقف فيها صار حرجاً لسرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع فى الشمال ومعاقله التى فى السواحل إلى الجنوب والغرب الأفريقى ، والمبشرون كانوا أخطأوا فى تقديراتهم السابقة لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التى كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة هى إما إسلامية محضة وإما أنها على أهبة الدخول فى الإسلام .

وتقول اللجنة : إن العداء الذى كان يظهره المسلمون للمبشرين قد خفّت وطأته بالنسبة لما كان عليه .

ثم تناولت اللجنة البحث فى الأمور الاجتماعية الإسلامية التى تمهد السبيل لتنصير المسلمين فحضت جمعيات التبشير على توسيع نطاق التعليم الذى يشرف المبشرون عليه . وحصرت قراراتها بجملتين اثنتين :

الأولى : أن ترقى الإسلام الذى يتهدد أفريقية الوسطى يجعل الكنيسة تفكر فى مسألة دقيقة وهى : هل ينبغى أن تكون القارة السوداء إسلامية أو نصرانية ؟

الثانية : أن المسائل الإسلامية فى الشرق على الخصوص صار لها مكان هام فى أعمال المبشرين عقب الانقلابات التى حدثت فى بلاد الدولة العثمانية وفارس مع أنها لم تكن تهم الكنيسة قبل هذه الانقلابات إلا قليلا ، ولذلك أصبح من مقتضيات الظروف أن تقوم إرساليات التبشير بعمل ينطبق على المسائل الإسلامية .

هذا شىء من أعمال اللجنة الأولى . أما اللجنة الثانية فهى خاصة بتمهيد ميدان العمل لرجال الإكليروس فى إرساليات التبشير وقد أشارت إلى الإسلام عرضاً لأن كل المجهودات التى يبذلها المبشرون لتأسيس كنائس يقوم بأكثر أعمالها أو بعضها المسلمون المتنصرون فشلت تماماً إلا فى جزء من بلاد الهند الغربية .

واللجنة الثالثة خاضت فى الأعمال المدرسية التى يقوم بها المبشرون واكتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت :

اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التى أسسها الأوربيون كان لها (تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها) .

وقد كان للإسلام الحظ الوافر من مذكرات اللجنة الرابعة لأنها كانت مكلفة بالبحث فى علاقات الإنجيل بالديانات الخارجة عن النصرانية والوسائل التى تظهر النصرانية على تلك الديانات المزاحمة لها . وتناولت هذه اللجنة البحث فى الإسلام بصراحة ومجاملة فذكرت ما ترى أنه موضع ضعف فيه وما للنصرانية عليه من المزايا مستندة على أقوال المبشرين (١) والمتنصرين .

وتداولت اللجنة الخامسة فى كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم وألحت بضرورة تعليم المبشرين فى البلاد الإسلامية دين الإسلام ولغة تلك البلاد .

وأما اللجنة السادسة فبينت كيف تنظم إرساليات التبشير وذكرت شيئاً عن الإسلام وعلاقاته بإرساليات التبشير المدرسية التى للأمريكيين .

والموضوع الذى بحثته اللجنة السابعة هو علاقات المبشرين بحكومات البلاد التى يبشرون فيها وموقف المتنصرين الوطنيين أمام حكوماتهم ، خصوصاً فى البلاد العثمانية وفارس . وانتقدت انتقاداً شديداً على الخطة غير المسيحية التى تنتهجها بعض الدول الأوروبية مثل إنكلترا فى النيجر والسودان وقالت : إنها خطة من شأنها ترويج الإسلام والتزام طرقه (٢)

أما اللجنة الثامنة من المؤتمر فقد خاضت فى كيفية الاشتراك وتوحيد أعمال التبشير ولم تخض فى المسألة الإسلامية إلا قليلا حيث قالت فى تقريرها : الأمر الذى لا مرية فيه أن المهمة الصعبة التى يقوم بها المبشرون فى البلاد الإسلامية لم تظهر فى غاية الصعوبة إلا لأنه يعسر على جمعية تبشير واحدة أن تقوم بها ولكن وحدة العمل ستكون أحسن وأسرع حل لهذه المعضلة فى إكمال مهمة التبشير .

---

(١) كلمة (المبشرون) ومشتقاتها لا يرتاح إلى سماعها القارىء المسلم . وأرى أن تترجم الكلمة بالمتنصرين ومشتقاتها   قصى الخطيب .

(٢) من المؤكد أن حكومة السودان تقوم الآن بما تقر به عيون المبشرين .

وقد ناقش المؤتمر فى المواضيع التى خاضت فيها اللجنة وكان للمعضلة الإسلامية حظ وافر إذ قام الدكتور القسيس «كارل كوم» الذى كان راجعاً من أفريقية وأوضح بكل بيان الخطر الذى يهدد أفريقية وأنذر به الدكتور «جورج روسون» وتكلم المبشر «كوغبرغ» عن أحوال تركستان الشرقية . ثم أشار القسيس «لبسوس» إلى عدم وجود مؤلفات مسيحية تختص بالمسلمين . وانبرى القسيس «صموئيل زويمر» فأوضح بكل براعة وبيان المعضلة الإسلامية العمومية .

أقوال المجلة السويسرية

نشرت مجلة إرساليات التبشير البروتستانية التى تصدر فى بلدة «بال» فى سويسرة سلسلة مقالات عن تقارير اللجنتين السابعة والثامنة من لجان مؤتمر أدنبرج وتكاد تكون هذه المقالات المتسلسلة تكملة لما نشرته «مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية» . أما مقالات المجلة السويسرية فمكتوبة بقلم الأستاذ «شلاتار» صاحب التقرير المقدم إلى مؤتمر أدنبرج عن ضرورة إعداد الوسائل لتوحيد أعمال التبشير . قال هذا الأستاذ :

إن مسئلة توحيد أعمال التبشير من أهم ما ينبغى للإرساليات على وجه العموم العناية به ما دامت النصرانية لم تنتشر إلا بين ثلث بنى الإنسان وبالتالى ما دام أمام النصرانية عمل جسيم يجب أن تتمه . إذ من المحقق أن الأمم المتجانسة التى لا تدين بالنصرانية قد أخذت تتدرج إلى الأعمال التاريخية وسيقوم بينها وبين المنتمين إلى الإنجيل نزاع ومعارك شديدة . لذلك ينبغى للمبشرين أن يتضافروا ويتعاونوا لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفرقون . وهنا استشهد بحوادث اشترك المبشرون فى الفيلبين وكوريا بالعمل لها فأدت إلى النجاح . مثال ذلك : أنهم تفاهموا فى دهلى فتسنى لهم تحديد مناطق أعمالهم ، وفى الصين نجح المبشرون المنتمون إلى جمعيات متعددة فى تأسيس مجلس لتوزيع الأعمال فكان موضع ثقة الجميع واتحدت اثنتان من الإرساليات المنصرفة إلى طبع الكتب الدينية ونشرها فطبعتا كتاباً جمعت فيه النقط والمسائل التى تتفقان فيها . وانفردتا فى نشر ما تختلفان عليه . وكذلك الحال فى الجرائد والمجلات والمطبوعات التى تنتشر بمشاركة الإرساليات المختلفة . ثم بنى على ذلك ما لهذا التضامن والاشتراك من المحاسن والتأثير فى جمع الكلمة وقال . إن لجنة مؤتمر أدنبرج أقرت على ضرورة تعاون الإرساليات المختلفة . ليتسنى لها تأسيس كنيسة واحدة وسط كل أمة غير مسيحية كما فعل المبشرون فى بعض جهات اليابان والصين والهند الوسطى . وقد ختمت لجنة مؤتمر أدنبرج قرارها فى هذا الشأن بالجملة الآتية :

إن الميل إلى تثبيت كنيسة المسيح المنشقة يزداد يوماً بعد يوم .

ومما يجدر بالذكر أن لجنة مختلطة تألفت للنظر فى هذا الأمر . وأشار الأستاذ «شلاتار» إلى أهمية اللجنة السابعة التى كان اللورد بلفور — وزير اسكتلنده السابق وهو الآن عضو فى المجلس الأعلى — رئيس شرف لها . نظرت هذه اللجنة فى المستندات التى وردت عليها من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها وعما إذا كان يوجد فى سبيل التبشير ونحوه موانع وعقبات . وعلى هذا فاللجنة السابعة بحثت عن حالة التبشير فى كل البلاد .

امتدحت اللجنة خطة حكومة اليابان مع المبشرين بمقدار ما استهجنت العداء الذى يظهره الموظفون الصينيون لكل شىء تشتم منه رائحة الأجنبى . أما فى الهند فالمبشرون متمتعون بالراحة لأن الحكومة تساعدهم وتعضدهم بالإعلانات وتشرف على المكان الذى تصرف فيه هذه الإعانات . إلا أنها مع ذلك واقفة على الحياد فى الأمور الدينية . وتساءلت اللجنة عما إذا كان من الممكن أن تخرج حكومة الهند عن حيادها الدينى ؟ وحكومة هولندة تشد أزر المبشرين أكثر من الحكومة الإنكليزية وهى قد رتبت لهم مرتبات مالية لتصرف على المستشفيات والملاجئ والمدارس . وسبب الاتفاق بين الحكومة الهولندية والمبشرين وجود «فون بوتزيلر» قنصل المبشرين والوسيط بينهم وبين الحكومة . أما فى آسيا الغربية فأعمال المبشرين قاصرة على الطب لأن نشر الإنجيل لم يزل محظوراً هناك والمتنصرون عرضة للهلاك فى فارس وهدف للأخطار الشديدة فى البلاد العثمانية . والمعضلة الإسلامية فى أفريقية أعقد منها فى آسيا وكل ما يستطيعه المبشرون هناك هو منافسة المسلمين فى التقرب من قلوب الوثنيين والاستيلاء عليهم ليس إلا .

والبلاد التى يدخلها الإنكليز يكون باب التبشير فيها مفتوحاً إلا أن أهمية ذلك تقل إذا علم أن سياسة الإنكليز التى يشكو منها المبشرون مبنية على المجاملة القصوى إلى حد يضر بالمسيحيين ، حتى إن الموظف يضطر للخضوع إلى العادات والتقاليد الإسلامية واعتبار يوم الجمعة يوم راحة والاشتغال فى يوم الأحد كما هى الحال فى مصر والسودان ، ولا حاجة إلى التصريح بأن هذه الخطة التى تعرقل أعمال المبشرين وتدعو إلى سخطهم وتجعل الأقباط عرضة للظلم كل ذلك احتفاظاً بمصلحة المسلمين . والمسيحيون فى مصر كانوا إلى سنة ١٩٠٧ محرومين من تعلم أمر دينهم فى مدارس الحكومة على نفقة كنيستهم .

بينما الحكومة تعلم القرآن على نفقتها (١) فإذا كان الإنكليز يودون أن يروا تعليم الأخلاق النصرانية ظاهرة على غيرها فينبغى لهم أن يساووا بين مسلمى مصر ونصاراها فى الحقوق . أما فى مدغشقر فقد كان المبشرون يلاقون صعوبة وشدة فى المعاملة .

والقسم الثانى من أعمال هذه اللجنة يتعلق بموقف المبشرين أمام الحكومات من الوجهة الحقوقية . فتقرر أن يبقى المبشرون على تابعيتهم الأولى ما لم يتجنسوا بجنسية البلاد ، والمتنصرون يظلون فى تابعيتهم الأولى ، لأن علاقتهم بالمبشرين دينية محضة . ويمكن للمبشرين أن يطلبوا من الحكومات مساعدات وامتيازات ولكن لا يجوز لهم التدخل فيما يتعلق بالمتنصرين .

ولما انتهت اللجنة من أعمالها قال « اللورد بلفور » رئيس الشرف : إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات وعلى هذا فنحن فى حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين . فأجيب اللورد إلى اقتراحه وتألفت لجنة مختلطة ولجنة لمواصلة العمل .

نتائج مؤتمر أدنبرج

تألفت على أثر انحلال مؤتمر أدنبرج لجنة لمواصلة الأعمال التى بدأ بها ، وعمل لها فروع كثيرة بعضها للإحصائيات وبعضها للنشر وللمطبوعات ، والبعض للتربية والتعليم وآخر لحسم المشاكل بين المبشرين وواحد لدرس علاقات المبشرين بالحكومات وخصص أحد الفروع لدرس العقبات التى تحول دون نشر التبشير بين المسلمين .

وفى مايو سنة ١٩١١ اجتمعت لجنة مواصلة أعمال المؤتمر وبحثت فى طرائق التربية والتعليم التى ينبغى لمبشرى المسلمين اتباعها وقررت أن تنتهز الفرص وتنتفع بالظروف السانحة وأن تنشر مجلة مختلطة تصدر سنة ١٩١٢ مرة فى كل ثلاثة أشهر .

وتقول مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية : إن أول ما ينفذ من قرارات مؤتمر أدنبرج إنشاء مدرسة تبشير مشتركة بين كل الفرق البروتستانية وتكون خاصة بتعليم مبشرى الأقطار الإسلامية . وهذه المدرسة يحتفل بافتتاحها فى خريف سنة ١٩١١ وتقبل النساء والرجال وتعلم فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتاريخ الأوضاع الإسلامية والأمور الاجتماعية التى اقتبسها المبشرون من بلاد الإسلام وسيكون لهذه المدرسة مكتبة تحوى أمهات الكتب العربية وغير العربية المتعلقة بالإسلام .

(١) راجع خطبة السيد على يوسف رحمه الله فى المؤتمر المصرى لتعرف قيمة هذه الأقوال .

المؤتمر الاستعمارى

نشرت المجلة السويسرية التى نقلنا عنها المقالة الماضية مقالة ذات شأن عن موقف إرساليات التبشير فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى . ومما يزيد فى أهمية هذه المقالة أنها مكتوبة بقلم (م. ك. اكسنفلد) صاحب التقرير عن الفروع المختص بالإسلام فى المؤتمر الاستعمارى وهو أيضاً سكرتير جمعية التبشير فى برلين .

قال صاحب المقالة : إن المؤتمر الاستعمارى امتاز بمزيتين الأولى : أنه بحث فى الشئون الصناعية والاقتصادية ، والثانية : إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية فى سياسة الاستعمار الألمانى . واستشهد بقول (شنكال) رئيس غرفة التجارة فى همبرغ : أن نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية . وحض السامعين على تقدير عمل المبشرين وإحلاله فى محله اللائق به .

وبحث أعضاء المؤتمر الاستعمارى فى شئون تتعلق بالتبشير فكفوا المبشرين مؤنة الكلام عن أعمالهم ولم يشترك هؤلاء المبشرون فى المداولات إلا عندما أخذ المؤتمر يبحث فى أعمال فرعه الرابع — الخاص بالمسألة الإسلامية — فأفاض المبشرون وتوسعوا فى القول حتى خيل للجميع أن المؤتمر الاستعمارى تحول إلى مؤتمر تبشير

ثم حدث اختلاف بين المبشرين وأعضاء المؤتمر فى وجهة النظر إلى الإسلام فقام « أكسنفلد » كاتب هذه المقالة فى المجلة السويسرية ولفت الأنظار إلى الخطر الإسلامى فى المستعمرات الألمانية بأفريقية واقترح على المؤتمر الاهتمام من كل الأوجه بعاقبة الحال الحاضرة سواء فى ذلك الوجهة التبشيرية والوجهة الفكرية ووجهة السلطة السياسية .

وقام بعده الأستاذ « باكر » العضو فى مجلسة المستعمرات فى همبورج فتوسع فى الكلام على الحكومة وإرساليات التبشير وعلاقاتهما بالسياسة الإسلامية ، وأبان عن الفارق الذى يفصل مصالح الاستعمار ومقاصده عن إرساليات التبشير . وقال : إن من

الخطأ تطبيق الآراء والأقوال المتعلقة بالتبشير على أمور الحكومة . فرد عليه « أكسنفلد » وقال : إن الأستاذ « باكر » لم يدرك المقصد الذى أراده المبشرون ، والخطر الإسلامى صار أمره معروفاً عند الجميع وعند الأستاذ باكر أيضاً ونحن المبشرون لم نقصد أبداً أن نجعل مصالح الحكومة كمصالح الكنيسة . ووافق « أكسنفلد » الأستاذ « باكر » على نقط متعددة ، وقال : « إن الحكومة لابد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية ما دام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم من اعتقادنا بأن المدارس العلمانية تزيد الإسلام نمواً وارتقاء . وإذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مقاصدنا ومصالحنا فيجب علينا بداهة أن ندرك أهمية هذه المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها أيضاً .

وأشار أكسنفلد إلى قرار المؤتمر الاستعمارى الذى وافق عليه عقب خطاب **« الاستصراخ لشن الغارة على العالم الإسلامى »** الذى ألقاه أكسنفلد نفسه ، يضم إلى ذلك الخطاب المعتدل الذى ألقاه الأستاذ باكر وحسبه أكسنفلد مدحاً وثناء على الإسلام .

أما قرار المؤتمر الاستعمارى الذى وفق فيه بين خطابى أكسنفلد وباكر فقد جاء فيه :

إن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ولذلك فإن المؤتمر الاستعمارى ينصح للحكومة بزيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة . والمؤتمر الاستعمارى — مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماماً فى الشئون الدينية — يشير على الذين فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسع نطاق الإسلام وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير التى تبث مبادىء المدنية خصوصاً بخدماتهم التهذيبية والطبية . ومن رأى المؤتمر أن الخطر الإسلامى يدعو إلى ضرورة انتباه المسيحية الألمانية لاتخاذ التدابير — من غير تسويف — فى كل الأرجاء التى لم يصل إليها الإسلام بعد . هذا ما جاء فى مقالة المجلة السويسرية .

ونشرت مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية بعض جمل من خطاب الأستاذ باكر الذى ألقاه فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى ، ومن هذه الجمل قوله : « إن السياسة التى ينبغى الجرى عليها فى معاملة المسلمين تحتم علينا وضع خطة جديدة فى مجرى سياسة حكومتنا .

« والمبشرون هم الذين اختصوا وحدهم بالاهتمام فى أمر الإسلام والبحث فى شئونه فى كل مستعمراتنا الألمانية إلى هذه الأيام الأخيرة . وأنا لا أرى أن تظل الحالة على ما هى عليه ، بل من رأيى أن تنتقل أزمّة السياسة الإسلامية منذ الآن وبعد الآن إلى يد الحكومة فى كل مستعمراتنا ، ويجب على حكومتنا فى هذه الخطة الجديدة التى أشير إليها أن تستعين بالوجهة الوطنية لا بالوجهة الدينية كيما تتوصل إلى مقاصدها . وعندئذ يتسنى لها أن تعلم حق العلم أن الإسلام وإن يكن عدواً للنصرانية إلا أنه مستعد للارتقاء والتقدم فى سبيل المدنية الحاضرة » .

وقال بعد ذلك : يجب على إدارة المستعمرات أن تستعين بالإسلام على تربية الوطنيين كما تفعل فرنسا وانكلترا وهولندا : وينبغى للحكومة أن تقف على الحياد التام فى المسائل الدينية .

« وأنا أقترح على حكومتنا أن تضع خطة موطدة الأركان فى الأمور الآتية :

الأول : فى الخطة العامة للنظام الإدارى والدينى .

الثانى : فى علاقة الشرع الإسلامى بالقوانين الأوربية .

الثالث : فى نظام التعليم . ومن الضرورى أن تدرس الحكومة الدين الإسلامى وأن تعنى به أشد العناية بواسطة أشخاص تختصهم بتوفية هذا العمل حقه » .

وختم خطابه بقوله : « يجب علينا — بالرغم من العناية برعاية الإسلام — أن نهتم بمقاومة انتشاره فى مستعمراتنا على قدر الإمكان . وليس هنالك غير واسطة واحدة توصلنا إلى هذه الغاية وهى إنشاء مراكز ثابتة الأركان لدين النصرانية كما تفعل إرساليات التبشير » .

مؤتمر لكنو سنة ١٩١١

مقدمة المجلة الإفرنسية

عقد مبشرو البلاد الإسلامية من البروتستان مؤتمرهم الثانى العام فى مدينة لكنو الهند يوم ٢١ يناير سنة ١٩١١ — أى بعد خمس سنوات من انعقاد مؤتمر القاهرة — ومعلوم أن المبشرين كانوا قد تفاوضوا فى مؤتمر أدنبرج بمسئلة مقاومة الإسلام ، ودرسوا وسائل مناضلته من كل الأوجه . ولما عقدوا مؤتمر لكنو ارتاحوا إلى ما رأوا من نجاحهم واشتركوا مع رئيسهم القسيس « زويمر » فى معرفة موقف الإسلام وقوته وأسبابها .

وأظهروا استعداداً لتطبيق أعمالهم على الحالة الحاضرة . والظاهر من مطبوعات البروتستان ومنشوراتهم أنهم يتذرعون بالتؤدة فى بذل المجهود لمعرفة موقفهم وميدان عملهم ودرس محاسنها ، وهم لا يفوِّتون شيئاً من هذا القبيل . ومنشأ هذا التضامن فى جماعة المبشرين البروتستان هى المواهب العملية التى امتاز بها الأنجلوسكسونى ، والمزايا النظامية التى اختص بها الجرمانى .

ثم قالت هذه المجلة : طلبنا من القسيس زويمر أن يوافينا بملخص أعمال المؤتمر أثناء انعقاده فأجابنا إلى طلبنا وأرسل لنا مجموعة تضمنت أبحاث المبشرين فى ذلك المؤتمر .

برنامج المؤتمر وترتيبه

انعقدت جلسات المؤتمر فى باحة مدرسة « إيزابلا ثوربون » البروتستانية الخاصة بالبنات وامتدت إلى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١ وهو ثانى مؤتمر خاص بالإسلام — والأول هو مؤتمر القاهرة — والذى يدخل إلى باحة ذلك المؤتمر يرى جدرانه مستورة بالخرائط والإحصائيات التى يتبين منها مبلغ اتساع نطاق الإسلام وارتقائه وتقدمه فى الأيام الأخيرة ، وعلى المنضدة التى أمام الرئيس كرة أرضية مجسمة وعليها هلال وصليب . أما المقصود من هذا الرمز فظاهر ومفهوم . وفى جانب الباحة غرفتان عرضت فيهما الغرائب المتعلقة بالإسلام مع مطبوعات جمعية التوراة التبشيرية ، والمظنون أن هذا المعرض سيبقى تحت مراقبة لجنة مواصلة أعمال مؤتمر القاهرة .

واشترك فى المؤتمر ١٦٨ مندوباً و ١١٣ مدعواً من ٥٤ جمعية تبشيرية ، ونزل كل هؤلاء ضيوفاً على مبشرى لكنو . وبين المشتركين فى المؤتمر القسيس زويمر — الذى تقول عنه المجلة الفرنسية . إنه الرجل الذى لا يهزم لأنه داس الإسلام سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول بين الشعوب الإسلامية التى يحبها حباً جماً !؟ — ولم يكن القسيس زويمر رئيساً للمؤتمر فقط بل كان أيضاً مديره الروحى .

ومن هؤلاء المشتركين الدكتور « ويتبرخت » الجرمانى الإنكليزى المشهور ، والدكتور « وهرى » صاحب التعليق المعروف على القرآن . ومن المتنصرين الذين حضروا المؤتمر « مترى أفندى » الشاب المصرى الذى يدير جريدة عربية ، والفندلفت « إحسان الله » ، والمبشر « أحمد شاه » الذى يحسن معرفة الإسلام وهو واضع قاموس القرآن .

ومنع الصحفيون الإنكليز والأمريكان من حضور جلسات المؤتمر ولم ترسل لهم مذكراته إلا بعد أن عنيت لجنة القرارات بتنقيحها . وكانت مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية التى يصدرها رئيس هذا المؤتمر قد قالت قبل أن تذكر ما جرى فى لكنو :

« تمخض الإسلام فى السنوات الخمس التى أعقبت مؤتمر القاهرة بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير : ففيها حدث الانقلاب الفارسى والانقلاب العثمانى وما نتج عنهما ، وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة ، وعنى المسلمون بمد السكة الحجازية ، وتأسست فى الهند مجالس إدارية وشورية ، وكان فى قوانين انتخاباتها امتيازات للمسلمين ، ودخلت الأمور الإسلامية فى قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادئ الإسلام . والمسلمون يحاولون إحياء دينهم فى الصين . وانتشر الإسلام فى أفريقية والهند الغربية والجزائر الجنوبية .

كل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد وتنظر فى أمر التبشير والمبشرين بكل عناية . وعلى ذلك فيشمل برنامج مؤتمر لكنو الأمور الآتية :

أولها : درس الحالة الحاضرة .

ثانيها : استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائى .

ثالثها : إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

هذا ما نشرته مجلة الرئيس عن مواد تضمنها برنامج المؤتمر أما البرنامج نفسه فقد عرض على المؤتمرين بعد قراءة الخطب الافتتاحية وانتخاب اللجنة وتلاوة تقارير لجنة مواصلة أعمال مؤتمر القاهرة ، وهذه مواده :

الأولى : النظر فى حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين .

الثانية : النظر فى الانقلابات السياسية فى العالم الإسلامى وعلاقاتها بالإسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها .

الثالثة : موقف الحكومات إزاء إرساليات تبشير المسلمين .

الرابعة : الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .

الخامسة : تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين . والمزايا النفسية اللازمة

لذلك ، والبحث فى الدروس الإعدادية ودروس التبشير ، وتأليف الكتب للمبشرين والقراء المسلمين .

السادسة : حركات الإصلاح الدينى والاجتماعى .

السابعة : الارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات .

الثامنـــة : الأعمال النسائية .

التاسعة : القرارات العلمية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات .

خطبة الرئيس الافتتاحية

افتتح القسيس زويمر مؤتمر لكنو بخطبة أنيقة تكلم فيها على المسائل الإسلامية التى يتناقش بها الأعضاء ، فقسم خطبته إلى أربعة أقسام :

الأول : الإحصاءات الإسلامية .

الثـــانى : حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها .

الثالث : ما طرأ على الإسلام بعد مؤتمر القاهرة من الانقلابات السياسية والفكرية

الرابع : الخطة التى اتبعتها كنائس أوربا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة .

الإحصاءات الإسلامية

قال الرئيس زويمر : ليست لفظتا « العالم الإسلامى » شيئاً اخترعه المبشرون للإشارة إلى معضلة التنصير العام ، بل هى كلمة دقيقة تدل على موقف حقيقى .

ثم أشار إلى مجلة العالم الإسلامى الفرنسوية وما نشرته عن الإسلام . ودخل بعد هذا فى موضوعه فقال : إن عدد المسلمين يزيد قليلا على ٢٠٠ مليون وذلك متوسط الإحصائيات الكثيرة التى يتراوح تقدير المسلمين فيها بين ١٧٥ مليوناً و ٢٥٩ مليوناً ومسلمو روسيا وبخارى وخيوه ٢٠ مليوناً ومسلمو الصين بين ٥ ملايين و ١٠ ويزيد عدد مسلمى الهند على ٦٢,٤٦٨,٠٧٧ ولاحظ أن المسلمين الذين هم تحت سلطة انكلترا أكثر من الذين تحت سلطة أية دولة غيرها فى هذه العصور أو فى العصور المتوسطة ومسلمو المستعمرات الإنكليزية والهند يبلغ عددهم ٩٥ مليوناً أى أنهم يزيدون خمسة ملايين على النصارى الذين يحكمهم الإنكليز ومسلمو الهند الإنكليزية آخذون فى النمو ،

وقد جاء فى كتاب (الهند وحياتها وأفكارها) الذى ألفه الدكتور (جونس) أن عدد المسلمين ازداد فى السنوات العشر الأخيرة ٩١ فى الألف مع أن زيادة عدد السكان بنسبة ١٩ للألف . وفى جاوة ٢٤,٢٧٠,٦٠٠ مسلم . ومسلمو روسيا ٢٠ مليونا . وفى السلطنة العثمانية ١٤,٢٧٨,٠٠٠ مسلم وعدد المسلمين فى كل واحد من أقطار مصر وفارس والمغرب الأقصى والجزائر وبلاد العرب والأفغان وغيرها يتراوح بين ٤ ملايين و ٩ ولا تخلو بلدة فى آسيا وأفريقية من سكان مسلمين وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم فى بعض هذه البلاد إلا أن هذه الأقلية فى نمو مستمر . وفى بلاد التبت المقفلة أبوابها فى وجوه الأجانب ٢٠ ألف مسلم ، والإسلام منتشر فى الكونغو وبلاد الكاب وهو فى نماء سريع فى بلاد الحبشة . ويدور على الألسنة منذ انعقد مؤتمر القاهرة أن كثيراً من القبائل النصرانية التى فى شمال الحبشة دخلت فى الإسلام وإن كانت أسماء أفرادها لا تزال كما كانت من قبل . والمبشرون المنتشرون على ضفتى النيل وشرق أفريقية وبلاد النيجر والكنغو يرفعون أصواتهم بالشكوى من انتشار الإسلام بسرعة فى هذه الأنحاء وبالرغم من أن انتشاره فى الهند الهولندية قد لقى موانع من مجهودات جمعيات التبشير الهولندية والألمانية فهو يتوطد ويثبت هناك لأن المسلمين أخذوا يستعيضون عن التقاليد الحشوية والخرافية بعقائد ثابتة قويمة . ففى صومترة اكتسح الإسلام الأرجاء الوثنية وفى جاوة ظهر بمظهرجديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الإسلامية وكثرة طبع القرآن وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين وما زال الوطنيون يدخلون فى شبكة الإسلام إلى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجاً .

وفى أمريكا عدد كبير من المسلمين لا يستهان به لأنه صار ٥٦ ألفاً ، وفى مستعمرة لاغوبان الإنكليزية فقط ٢٢ ألفاً منهم ، وفى أمريكا الوسطى ٢٠ ألفاً .

والبلاد الإسلامية التى لم يدخلها المبشرون البروتستان هى التركستان الروسية وفيها خمسة ملايين من المسلمين ، وخيوه وفيها ٨٠٠ ألف ، وبخارى وفيها ١,٢٥٠,٠٠٠ والأفغان وفيها ٥ ملايين ، وبرقة (بنى غازى) وفيها ١٠٠,٠٠٠ ، وتونس وفيها مليون ، ووهران وفيها ١,٣٠٠,٠٠٠ ، وريف المغرب وفيه ٢,٢٦٠,٠٠٠ ، وفى وادى مولويا وصحراء المغرب الأقصى يتنافس الإسلام والنصرانية فى الاستيلاء على الوثنية ، ونجد والحجاز وحضرموت لا يوجد فيها مبشر واحد ، وجزائرماليزيا وفيها أكثر من مليون مسلم خالية من إرساليات التبشير .

الانقلابات السياسية

انتقل الرئيس زويمر فى خطبته الافتتاحية إلى قسمها الثانى الخاص بالانقلابات السياسية التى حدثت أخيراً فى العالم الإسلامى فشكر الله على حدوث هذه الانقلابات فى غرب آسيا فكانت موجبة للإعجاب والاستغراب ، وبددت معالم التجسس وأقامت الحرية على أنقاض الاستبداد ، وصار التجول فى البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع وأصبح عبد الحميد سجيناً فى سلانيك وارتبطت المدينة بدمشق بواسطة السكة الحديدية وأنيرت الأنوار الكهربائية على الروضة النبوية . كل هذا يعد عصراً جديداً فى تاريخ آسيا الغربية وأفريقية الشمالية . وصار مسلمو روسيا يحاولون تعزيز حقهم فى الدوما ويؤلفون الجمعيات للتدرج فى مراقى المدنية . إلا أن النزعة الجديدة فى مصر إسلامية محضة يراد بها جعل مصر للمصريين باعتبار أن المصريين مسلمون . ونتيجة ذلك اضطهاد المسيحيين فى مصر خصوصاً إذا كانت إنكلترا لا تترك خطتها فى ترجيح كفة المسلمين .

وإن بوادر الانقلابات قد أخذت تظهر فى جزائر ماليزيا أيضاً فأسس شبان جاوة جمعية الاتحاد العام « بوندى أتوتومو » الذى يرمون به إلى إحداث ارتقاء اجتماعى واتباع مبادئ التربية والاستقلال الإدارى ، وقد فسروا القرآن بلغتهم .

وفى « طوكيو — اليابان » جريدة باللغة الصينية اسمها « النهضة الإسلامية » منتشرة فى كل بلاد الصين وجريدة إنكليزية ينشرها مسلم مصرى وآخر هندى وفى ذلك دلالة على مبلغ حركة الجامعة الإسلامية .

وإن احتلال الجيش الفرنسوى لمقاطعة « واداى » فى أفريقية فى العام الماضى أهم حادث سياسى فى هذا العصر ، لأن واداى كانت أهم مركز فى أفريقية للاتجار بالرقيق وانتشار الإسلام وعلى ذلك فإن هذا المركز أصبح تحت سلطة أوربية تحتفظ به مهما كلفها ذلك وهذه الحادثة جعلتنا فى مأمن من أن تكون واداى بعد الآن مركزاً للحركات الحربية ضد الحكومات النصرانية وهى أيضاً ستقلل نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف فى طريق التقدم الاستعمارى والتجارى فى الإسلام .

والآن لم يبق غير ٢٧,١٢٨,٨٠٠ مسلم تحت سلطة حكومات إسلامية ، وانتقلت السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الإسلامية إلى يد انكلترا وفرنسا

وروسيا وهولاندة ، وعدد المسلمين الذين تحت سلطة كل واحدة فى هذه الدول يفوق عدد المسلمين الموجودين فى كل أرجاء السلطنة العثمانية . وأن عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيراً عقب انقلابات قريبة الحصول ، وبذلك تزداد مسئولية الملوك النصارى فى مهمة تنصير العالم الإسلامى ...

الانقلابات الاجتماعية والفكرية

قال الخطيب : إن الإسلام قد بدأ ينتبه لحقيقة موقفه ويشعر بحاجته إلى تلافى الخطر ، وهو يتمخض الآن بثلاث نهضات إصلاحية: الأولى إصلاح الطرق الصوفية ، الثانية تقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية ، الثالثة إفراغ العقائد والتقاليد القديمة فى قالب معقول . ومصدر هذا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح واحد ، وهو التغير الذى حدث فى الإسلام عندما اكتسحت أهله الأفكار العصرية والحضارة الإفرنجية ولا يمنع هذا أن يكون الشعور مؤدياً إلى عاطفة الاحتجاج والحذر ، أو إلى التوفيق والتحكيم ، لأن كلا العاطفتين تجتمعان عند جعل الإسلام فى مستوى الأفكار العصرية . قال إسماعيل بك غصبر نسكى فى جريدته ترجمان : إن العالم فى تغير وارتقاء مستمر ، ولكن المسلمين لا يزالون متقهقرين أشواطاً بعيدة . وقال الشيخ على يوسف منشئ أهم جريدة إسلامية فى خطاب ألقاه على جمهور عظيم : إن المسيحيين قد سبقونا فى كل شىء فالمسلمون ليس لديهم بواخر فى البحر وهم غير منتبهين لموقفهم ، ومجهوداتهم متشتتة ، وكل ما يفعلونه أنهم يمشون وراء مرشديهم ولكن بغير اهتمام ذاتى لإدراك الأمم التى سبقتهم .

ومثل كلام هذين الرجلين ما سمعناه مراراً فى الهند وغير الهند .

ثم قال القسيس زويمر : وإن نهضة الشعوب الإسلامية وانتباهها لمعرفة مركزها يدعوانها إلى التساؤل عن طريقة التوفيق بين المبادئ الدستورية والمبادئ الدينية ، وتاريخ الدستور الفارسى وحركة الارتجاع فى البلاد العثمانية يؤيدان وجود تباين بين الأفكار الديمقراطية ونصوص القرآن ! ويمكننا أن نرتاب فى صحة التصريح الصادر من شيخ الإسلام عن انطباق تأسيس مجلس المبعوثان العثمانى على النصوص القرآنية . ومما يؤيد ارتيابنا وقوف المبعوثين المسلمين المعروفين بالتقى فى وجه كل إصلاح يعرض على مجلس المبعوثان والصحف المصرية تدافع عن الفظائع التى أمر بها سلطان المغرب ،

والبدو يخربون السكة الحديدية الحجازية بدعوى أن العربات المخصصة فيها للصلاة تنافى الشعائر الإسلامية !

وفى العالم الإسلامى الآن حركتان متناقضتان : يحمل لواء الحركة الأولى رجال الصوفية والمشايخ فى اليمن والصومال والبوادى ، وشعارهم الرجوع إلى التعاليم المحمدية . والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الإصلاح ومبشرو الإسلام الجديد فى مصر والهند وجاوه وفارس وهؤلاء يبنون أساسهم على رسم الطرق المعقولة . والصحف الإسلامية فى باكو تتبع رجال الحزب الثانى الذى يقول إن الجمود والخرافات مما طرأ على الإسلام وهو غريب عنه ، كما أن فظائع دواوين التفتيش فى القرون الوسطى ليست لما يأمر به المذهب الكاثوليكى . ثم أشار إلى كتاب حقيقة الإسلام الذى ألفه محمد بك بدر المتخرج فى جامعة أدنبرج فقال : إن هذا الكتاب يدل على أن أشياع الإسلام الجديد يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الغرق .

وقال القسيس زويمر بعد ذلك : إن تأويل سورة الكهف وسورة النساء وتطبيقها على مقتضى العقل أمر مستحيل ، ولو اقتصرنا على مطالعة ما كتب عن الحجاب وتعدد الزوجات فى الصحف الإسلامية يتضح لنا أن ما يظهر لنا من وحدة الأفكار فى الإسلام غير صحيح ، وهذه الوحدة مهددة بالنزاع والتناقض . ولا ريب أن فى فارس والسلطنة العثمانية بل والبلاد العربية ألوفاً من المسلمين مقتنعون بصحة النصرانية ومخالفتها للإسلام . وأشار إلى قول الدكتور (و. شيد) من أن الإسلام يتحكك فى كل قطر بالمدنية العصرية ومبادئها وملاحظته لهذه الانقلابات يتوقف عليها بقاؤه ، فتساءل عن نتيجة ذلك وعما إذا كان فى الإمكان مجاراة تيار الحضارة مع الاحتفاظ بمبادئ القرآن وتعاليمه وعما إذا كان التقدم الاجتماعى والعقلى المجرد من كل صبغة دينية كافياً لسد الحاجة الروحية فى الملايين من المسلمين أو أن العالم الإسلامى رجاله ونساءه ينهض من كبوته ليتسلق معالم المجد الذى أبقاه على الأرض يسوع المسيح ابن الله ! ؟

خطة الكنائس بعد مؤتمر القاهرة

وانتقل زويمر بعد هذا إلى القسم الرابع من خطابه وهو الكلام على الخطة التى اتبعتها كنائس أوربا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة ، فذكر أن المؤتمر كان فاتحة عصر جديد لتنصير المسلمين ، لأنه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مهملة ومنسية ، وحث الكتاب على وصف أعمال المبشرين فى بلاد الإسلام ، واستنجد بالكنائس واستصرخها . فخاضت الجرائد والمجلات فى مسئلة الانقلاب العثمانى والانقلاب الفارسى والنهضة المصرية وحركة الجامعة الإسلامية ومكانها من الحالة السياسية الحاضرة وكل هذه الكتابات التى نشرتها الجرائد أبانت عما يجب أن تعمله فى العالم الإسلامى وصنفت الكتب الكثيرة التى يراد بها تعريفنا ببلاد الإسلام وحالات المسلمين مثل كتاب (الشرق الأدنى والشرق الأقصى) الذى طبع منه ٤٥,٠٠٠ نسخة ، ومثل كتاب (أخواتنا المسلمات) ، وكتاب (العالم الإسلامى) الذى طبع منه ٥٠,٠٠ نسخة وأكثر هذه الكتب نشر بلغات متعددة . وكتب المبشرون فى هذه المدة مقدار عشرين كتاباً بحثوا بها فى المعضلة الإسلامية من كل أوجهها وكلها مبنية على بحث واستقصاء . ومن هذه الكتب كتاب (دين الإسلام) و (الشعائر الدينية الإسلامية) و (الإسلام والنصرانية فى الهند والشرق الأقصى) و (صليبيو القرن العشرين) و (مصر والحرب الصليبية) و (الإسلام فى الصين) .

وختم القسيس زويمر خطابه الافتتاحى بقوله : إذا نظرنا إلى البلاد التى يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا وإلى البلاد التى يتهددها بحكمه إياها يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هى رمز لعنصر من المعضلة الكبرى : فالمغرب الأقصى فى الإسلام مثال الانحطاط ، وفارس مثال للانحلال ، وجزيرة العرب مثال للرقود ، ومصر مثال لمجهودات الإصلاح ، والصين مثال للإهمال ، وجاوة مثال للتغير والانقلاب ، والهند مركز التحكك بالإسلام ، وأفريقية الوسطى مكان الخطر الإسلامى . والإسلام يحتاج قبل كل شيء إلى المسيح فهو الذى يرسل أشعة النور إلى المغرب ، ويعيد الوحدة لفارس، والحياة لجزيرة العرب ، والنهضة لمصر ، ويرد إلى الصين ما أهمله الإسلام فيها . وهو الذى يبقى لأهالى ماليزيا بلادهم ، ويزيل الخطر العظيم من أفريقية .

أعمال اللجان بعد مؤتمر القاهرة

رأى القائمون بمؤتمر لكنو أن تقرأ قبل الخوض فى موضوعات هذا المؤتمر تقارير اللجان التى تألفت بعد مؤتمر القاهرة فقرأ الدكتور (ويتبرخت) الألمانى تقريراً عن حالة المؤلفات التى صنفت لتبشير المسلمين ، وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جداً باللغات الثلاث التى هى أهم اللغات الإسلامية ويعنى بها العربية والفارسية

والأوردية . وأن قسماً كبيراً من هذه المطبوعات خاص بالبلاد العثمانية ومنها ما تكرر طبعه مثل مؤلفات القسيس (بفندر) ومنها ما هو مكتوب بأسلوب عصرى صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الإسلامى يتحكك بالعلوم العصرية . وأهمية هذه المؤلفات كبيرة فى الهند لأن الذين يكتبونها هم مسلمو الهند المتنصرون مثل « عماد الدين » الذى حصل من مدارس انكلترا على لقب دكتور فى اللاهوت .

وبهذه اللغات الثلاث صار يمكن للمبشرين أن يتحككوا بثلثى المسلمين فى العالم ، أما الثلث الثالث فمؤلف من ١٠ ملايين صينى و ٢٠ مليون من الصقليين و ٢٥ مليون من السود وهؤلاء لا توجد فى لغاتهم كتب تبشير .

ثم تليت تقارير أخرى فى بيان ضرورة نشر مؤلفات فى المناظرات الدينية التاريخية التى تكون مكتوبة بأسلوب عصرى على ما تقتضيه حالة المسلمين فى مصر والهند وسائر أقطار الشرق ثم أشاروا إلى مساعدة صحف أوربا الكبرى للمبشرين لاهتمامها بالأمور الإسلامية ومن أدلة هذا الاهتمام إنشاء مجلة العالم الإسلامى الفرنسوية ، ومجلة الإسلام الألمانية ، ودائرة المعارف الإسلامية التى نشرت بثلاث لغات .

الجامعة الاسلامية

وبعد أن تليت التقارير الكثيرة فى موضوعات مختلفة بدأ المؤتمرون بالمسائل التى عقدوا مؤتمرهم لأجلها وافتتحوا ذلك بمسألة الجامعة الإسلامية فتقدم عنها ثلاثة تقارير : الأول من القسيس نلسن عن حركة الجامعة الإسلامية فى السلطنة العثمانية ، والثانى من القسيس ورنر السويسرى عن الجامعة الإسلامية فى ماليزيا .

قال القسيس نلسن عن الجامعة الإسلامية فى السلطنة العثمانية : إن حركة هذه الجامعة قد ضعفت جداً بعد خلع السلطان عبد الحميد ولكن لا تزال فى الأهالى روح تضامن مع ملازمة للإسلام وهى سائدة بين مسلمى سوريا إلى درجة تدعو للتبصر فى علاقتها بزعماء الفكرة الإسلامية . ثم قال : إن الألوف من مسلمى الأرض يتجهون فى كل سنة إلى مكة ويشربون ماء زمزم إلا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجى وبالرغم من وجود الاتحاد الذى يجعل لفكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية إلى حد يستدعى اهتمام المبشرين النصارى والحكومات النصرانية ، بالرغم من ذاك وهذا فإنه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حى حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معاً ، ويضم الأتراك والفرس والهنود إلى العرب ، ليكافحوا ويدافعوا يداً واحدة على اتفاق وثقة متبادلة . وختم القسيس نلسن تقريره بقوله : اسمحوا لى أن أقول لكم إنه يظهر لى أن اجتماع المسلمين بجامعة إسلامية بكل المعنى الذى يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمى لا ثمرة له غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبى .

وقال القسيس (وِرْنَرْ) عن الجامعة الإسلامية فى أفريقية : إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شىء غير إسلامى . وهذا ما يسمونه بالجامعة الإسلامية . وإذا كان فى أفريقية عوامل أخرى توجب تقدم الإسلام فيها فهى الأحوال المساعدة التى يتصف بها الإسلام ومركز بلاده الجغرافى وارتقاء الشعوب الإسلامية فى السودان عن الشعوب الزنجية . ثم إن للحالة الاقتصادية وللتجارة الداخلية تأثيراً كبيراً على النيجر وبانوية ومقاطعة تشاد لأن التجارة فى هذه الأصقاع كلها بيد القبائل الإسلامية . وأما التجار الأوربيون فيهتمون ببلاد الساحل على الأكثر مع أن تجارة الذهب والملح والحديد والجلود وجوز الهند ونقل هذه المحصولات يستخدم فيه ألوف من الوطنيين الذين يحتك بهم التجار . ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث فى هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامى وحضارته الراقية . وكما هى كذلك الحال فى السودان الغربى فهى هكذا أيضاً فى السودان الشرقى وللإسلام فى أفريقية صديق آخر يساعده على انتشاره ولعلكم تستغربون إذا قلت لكم إن هذا الصديق هو الاستعمار الأوربى ، فإن الذى يفعله الاستعمار بعد أن يسلب من الأمراء المسلمين سلطتهم السياسية هو أنه يقرر الأمن ويمهد السبيل للمسلمين فبعد أن يكونوا منفورين من الوطنيين الوثنيين قبل الاستعمار الأوربى بسبب الاتجار بالرقيق يصبحون بعد أصدقاء لهم فيتعامل الفريقان ويتفاهمان بكل حرية ومحبة . ومن هذا يتبين أن الاستعمار يسلب عن المستعمرات السلطة الإسلامية السياسية ولكنه يزيد الإسلام نفوذاً فيها . ثم أسف صاحب التقرير على أن المنافع الإسلامية تتم بإرادة المستعمرين لأنهم يفضلون استخدام المسلمين وتوظيفهم ، واستشهد على هذا بقول (اكسنفلد) مفتش إرساليات التبشير إذ صرح فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى بأن الإسلام يتبع خطوات الأوربيين حيثما ذهبوا ، فلا توجد نقطة عسكرية أوربية بدون جنود مسلمين ولا توجد مصلحة استعمارية أوروبية بدون مستخدمين مسلمين . ولا تكاد توجد مزرعة خالية

من حانوت لمسلم يبيع فيه ويشترى . وتكلم ورنز عن المدرسة التى أسستها انكلترا فى (سيراليونه) بغرب أفريقية لتعليم أطفال القبائل الإسلامية والوثنية باللغة العربية وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظاً بمبدئها فى الحياد الدينى . ثم قال : ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصور الموجودة فى كتب دروس الأشياء فلا تتأخر إدارة المستعمرات الإنكليزية عن استفتاء علماء الإسلام فى الآستانة ومصر والهند استرضاء لآباء التلاميذ وأقاربهم .

ثم أشار إلى تقدم الإسلام فى أفريقية فتساءل عما إذا كان هنالك عمل مرتب ويد عاملة على نشره أم أنه ينتشر بطبعه ؟ وأجاب بأن من الصعب حل هذه المسئلة لأن القوات العملية التى ينتشر بها الإسلام تختلف عن قوات المبشرين بالنصرانية . ولكن يظهر أن النظام فى نشر دين الإسلام أقل مما نتصوره لأن المسلمين يجهل بعضهم أخبار البعض الآخر وأحواله وإذا اتفق أنهم اشتركوا فى أمر فإنما يكون ذلك بدون قصد . ومن الخطأ أن يقال إن الجامع الأزهر يرسل ألوف المبشرين إلى أفريقية الوثنية للدعوة إلى الإسلام لأن الأزهر ليس معهد تبشير كما هى مدارس اللاهوت فى أوربا . ويقال مثل ذلك عن كل المدارس الإسلامية فى شمال أفريقية . ويستثنى من ذلك المدارس التى يديرها مشايخ الطرق فى الصحارى وفى السودان . وعاد قبل أن يختم تقريره فقال : إلا أن هنالك قرائن كثيرة تدل على وجود يد تعمل بقصد لنشر الإسلام . فإنه يظهر فى ربوع أفريقية من وقت إلى آخر مبشرون متنقلون يدعون المهدوية ويثيرون الفتن الشديدة ، ومن الذى يمكنه أن يبين لنا علاقة أصول الدين بهؤلاء المبشرين المتنقلين ؟ ولا ريب أن بين ناشرى القرآن الكثيرين فى أفريقية أناساً هم أعضاء سريون ينتسبون إلى طرق دينية .

وتكلم بعده القسيس سيمون عن حركة الجامعة الإسلامية فى ماليزيا فقال : يزعم بعضهم أن الإسلام فى الهند تنقصه الحياة وأنه غير مرتب وأنه صبيانى . ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الإسلام فى الهند بمكة ، وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر مالزيا إلى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير . وبأن سلطة النصارى عليهم شىء مؤقت وسيأتى يوم يجيئهم فيه السلطان العثمانى الذى هو أكبر أمير فى أوروبا ومرتبط بأواصر المودة مع امبراطور ألمانيا فينقذهم من يد النصارى عقب حرب دينية . ونحن نرى البوجيين يبيعون الآن كرات سحرية لتستعمل فى محاربة هولندة يوم تنشب المعركة المنتظرة . ولكن عبثاً يبنى هؤلاء آمالهم على الجامعة الإسلامية لأن التربية النصرانية قد انبثت فى دمائهم بفضل مدارس التبشير وباحتياطات استمدتها حكومة هولندة

من أصول الدين النصرانى ومن شأنها أن تزعزع آمال المسلمين الباطلة .

وقال بعد هذا فى ختام تقريره : إن العامل الذى جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذى يضمره سكان البلاد للفاتحين الأوربيين ولكن المحبة التى تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبى .

وقام بعد ذلك القسيس (كانون سل) المبشر فى (مدراس) فتلا تقريراً عن مشايخ الطرق والدراويش فى أفريقية وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات الفرنساوية .

والمعلومات التى تضمنها هذا التقرير هى ملخص كتاب ألفه هذا القسيس اسمه « الطرق الصوفية فى الإسلام » ثم قال :

إن الإسلام أخذ ينتشر فى الحبشة ، وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلداً إسلامياً ، أما ممباسة وشرقى أفريقية البريطانية فلا أثر فيهما للدراويش المبشرين وليس عظيما نجاح الإسلام فى شمال نيجيريا حتى الأيام الأخيرة ، وذلك لما كان يلقاه هذا الدين من مقاومة القبائل الوثنية له : إلا أن الاستعمار الإنكليزى قد وطد الأمن العام ومهد السبيل لسياحة المسلمين وانتشار الإسلام على يد التجار الهوسيين وفى نيجيريا مسلمون تربوا تربية إسلامية وهم على مذهب مالك بن أنس ، وقد درسوا تفسير البيضاوى وصحيح البخارى وكتب الغزالى . والإسلام فى جنوب هذه البلاد قد انتشر انتشاراً سريعاً بفضل الهوسيين أيضاً ، وقسم من هؤلاء ينتمى إلى الطريقة التيجانية منذ ٨٠ سنة وهذه الطريقة قد اتسع نطاقها حتى جهة البيدة ، ومشايخها هم الذين شدوا أزر أمير سكوتو أثناء اقتتاله مع الإنكليز وعلى كل حال فالظواهر تدل على أن الإسلام يتقدم بانتظام فى مقاطعة (سيراليونة) وهو ينتشر أيضاً فى (نياسالند) منذ ١٢ سنة بفضل عرب زنجبار . والبلاد الممتدة من بحيرة نياسا حتى الشاطئ الأفريقى الشرقى لا تكاد تخلو من مسجد ورجل يدعو إلى الإسلام ، وبالعكس من ذلك مقاطعة (رودزيا) فإن الإسلام لا يكاد يكون له فيها أثر .

وقام بعده الأستاذ (مينهف) فذكر بعض دواعى انتشار الإسلام مثل انقطاع تجارة الرقيق وانتشار الأمن ونفوذ المسلمين من الوجهة الاقتصادية والتجارية . ومما قاله : « إن بين الأوربى والأفريقى هوة تفرق بينهما والمسلمون قد تمكنوا من إزالة الهاوية التى كانت بينهم وبين الزنوج بأن جعلوا لهم إلى هؤلاء سلماً فأهالى الساحل الشرقى فى أفريقية والهوسيون فى السودان الغربى هم الآلة العاملة لانتشار مدنية الإسلام فى أفريقية

بلغة البلاد التى هى مزيج من العربية والبربرية والأفرنجية (لانغو فرانكا) وهذه اللغة هى واسطة التعارف فى الأقاليم الكبرى » وشدد النكير على القائلين بأن الإسلام أكثر موافقة للشعوب الأفريقية وقال : « إن من شأن هذه الفكرة أن تحبب المسلم إلى الأوربيين وتحملهم على مجاملته مع أن أساس هذه الفكرة واه إلا إذا كان معناه أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات المنتشر فى أفريقية وقد أظهرت التجارب الكثيرة فى الاستعمار الأوربى أن الأوربيين لا يختلفون فى شىء عن الأفريقيين من الوجهة العملية أما أن الإسلام فى مستوى أرقى من مستوى الشعوب الأفريقية فذلك لأن هؤلاء يعيشون على طريقة القرون القديمة ومدنية الإسلام هى بدرجة مدنية القرون المتوسطة ولذلك يسهل على الأفريقيين اقتباسها . وأما مدنية أوربا فهى أرقى من المدنيتين الأفريقية والإسلامية ، ولذلك يصعب على الأفريقى الوصول إليها والاحتكاك بها .

والأوربيون لم يثبتوا فى نشر مدنيتهم على الأفريقيين إلا فى الجنوب ولذلك أصبح القيام بهذا الأمر واجباً على المبشرين كيما تعلو النصرانية على الإسلام . وقد صار ينبغى لإرساليات التبشير أن تتحكك بالمسلمين وتتسلح بالمعدات الكافية لقتالهم وأن لا تخشى ذلك كما كانت تفعل حتى الآن . وينبغى لهم أن لا تكون أعمالهم لاهوتية فقط بل أن يطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل الأعمال التى يتفوق فيها الأوربى على الشرقى .

الانقلابات السياسية

ومن المسائل التى عقد مؤتمر لكنو للبحث فيها الانقلابات السياسية فى ممالك الإسلام . فابتدأوا بالبلاد العثمانية وتقدمت ثلاثة تقارير عن الحالة السياسية فى البلاد العثمانية :

الأول من الأستاذ (استورد كروفورد) عن الانقلابات العثمانية ، والثانى من القسيس (ينغ) عن الانقلابات السياسية فى جزيرة العرب ، والثالث من القسيس (تروبريدج) عن النظام الجديد والنظام القديم فى السلطنة العثمانية مع ملاحظة موقف إرساليات التبشير فى كل ذلك .

تساءل (استورد كروفورد) فى أول تقريره عن الموقف الذى يجب أن تكون فيه إرساليات التبشير المسيحية تجاه قوات الإسلام الجديدة بعد الانقلابات العثمانية . ثم قال : إن الأمة العثمانية بحصولها على بعض الحقوق الوطنية العصرية قد أخذت تتدرج فى مدارج نهضة عظيمة وتظهر إحساساً وطنياً جديداً أمام المسئولية الديمقراطية . وهذا الأمر

لا يقتصر على الرعايا المسلمين بل يشترك معهم فيه العثمانيون من غير المسلمين وهؤلاء قد بدأوا ينصرفون عن فكرة الاستعانة بالدول الأجنبية . وحدث بين المسلمين والنصارى تقرب محسوس بالرغم من حدوث بعض حوادث مزعجة إلا أن الإسلام قد ظهر فى قالب جديد وذلك لأن الانقلاب الذى تمخضت به الأمة العثمانية إنما كان إسلامياً بل إن فكرة الدفاع عن الإسلام هى التى أعانت على حدوث الانقلاب . وعلى هذا فواجب المبشرين مزدوج أمام هذا المزيج الغريب ، المتكون من الرغبة فى الارتقاء والتمسك بالتقهقر ، وبهذا الواجب المزدوج يمكن لهم أن يعينوا مركزهم إزاء المسلمين العثمانيين أما الواجب الأول فهو إظهار المجاملة للقوة الجديدة التى انتبهت بالعثمانيين بعد انعدامها بالرغم من أن الشعور الإسلامى الحقيقى يعرقل سيرها .

وبهذه المجاملة يمكن تنشيط المسلمين لاقتباس الأوضاع الجديدة وترقيتها على وجه يشبه الأوضاع التى تباهى النصرانية بها . ولم يسبق لنا أننا رأينا الإسلام ليناً وملائماً إلى حد تقدير المبادئ النصرانية بقدرها . وهذه فرصة ثمينة ينبغى لنا انتهازها للتحكك بالعالم الإسلامى وهدايته إلى الإنجيل الذى هو أرقى وحى أهداه الشرق للغرب . وما علينا إلا أن نستصرخ المسلمين ليستردوا إليهم بضاعتهم الطبيعية فيطبقوا مبادئها على أعمالهم الضرورية من اجتماعية وقومية ويفسروها بأنفسهم على ما يوافق هواهم ووقتنا أضيق من أن يتسع للطعن على عقائدهم . وإذا ثبتنا على تلك الطريقة الفاسدة فى إظهار المسيحية بمظهرها أيام الحروب الصليبية فإنما نكون قد خنا المسيح الفاتح .

أما الواجب الثانى فهو الصبر الذى يعرفه من عرف حكمة الإنجيل فى النمو التدريجى وهى تبتدئ بالعشب ثم بالسنبلة ثم يتبعها انتظار طويل ريثما ينضج الحب ، إلا أن النمو الأخلاقى طويل العهد ، خصوصاً إذا كان متعلقاً بأمة .

ثم قال : إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطراً من المدنية النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها .

وقد علقت مجلة العالم الإسلامى الفرنساوية على هذا القول بأنها تكتفى فى بيان أهمية ما يقوله استورد كروفورد بتذكير القراء بالجملة التى اتخذتها جمعية الطلاب المتطوعين للتبشير شعاراً لها منذ سنة ١٩٠٥ وهى : تنصير العالم قاطبة فى هذا العصر . فإن فى هذا الشعار ما يدل على أن أقوال المبشرين تتدرج نحو الحقيقة .

أما تقرير القسيس ينغ عن الانقلابات السياسية فى جزيرة العرب فلم تذكر منه مجلة العالم الإسلامى الفرنساوية إلا ما يتعلق بحالة المبشرين ومما قاله صاحب التقرير إن اليمن وسائر بلاد العرب يوجد فيها دائماً متعصبون يرون أن فى المساواة بين المسلمين والنصارى ضرراً وقضاء على الإسلام ولكن علماء الإسلام المتنورين يقولون إن الشريعة الإسلامية تأمر بالمساواة ثم هم من الوجهة الشخصية لا تمكنهم الموافقة على أن المسيحى يساوى نصف المسلم وإن كان المسيحيون مساوين للمسلمين فى الحقوق السياسية والشرعية . وهو يرجو أن يكون إنشاء الطرق والسكك الحديدية وتشييد المدارس أبواباً ومنافذ بين المسلمين والنصرانية .

وختم تقريره بقوله : إنه قد أزف الوقت لارتقاء العالم ، وسيدخل الإسلام فى شكل جديد من الحياة والعقيدة ، ولكن هذا الإسلام الجديد سينزوى فى النهاية ويتلاشى بالنصرانية .

وبعد أن فرغ الخطيبان السابقان من تلاوة تقريريهما قام بعدهما القسيس (تروبريدج) فألقى على مسامع زملائه تقريره عن النظامين الجديد والقديم فى السلطة العثمانية فقال : إن المبشرين كانوا منذ ابتداء أعمالهم التبشيرية قبل ٨٠ سنة مظهراً لتسامح الحكومة العثمانية كما هو شأنها مع الرعايا الأجانب الذين تحميهم الامتيازات الأجنبية أما المتنصرون الوطنيون فهم على نقيض ذلك لأنهم كانوا دائماً عرضة للسجن والطرد كما أن المبشرين من وجه آخر كانوا يلاقون الصعاب والعقبات فى سبيل تشييد المدارس والكنائس ونشر المطبوعات

ثم أشار بعد ذلك إلى ملخص البند العاشر من القانون الأساسى الذى يحظر خرق حرية الأفراد أو القبض على أى شخص ومعاقبته بلا مسوغ منصوص عليه فى الأحكام الشرعية الإسلامية والنظامات القانونية . ثم قال : ومع ذلك يتعذر الوقوف على حقيقة خطة الحكومة بالاستناد على أقوال الكثيرين التى ترمى على عواهنها بل إن ذلك يتطلب التنقيب والاختبار الشخصى ، ولذلك قسم الخطيب الكلام على أعمال المبشرين بالنسبة إلى موضوعها ليسهل الوقوف على موقف الحكومة إزاء كل منها .

فقال عن الأعمال المدرسية : إن فى استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير ، وبين جدران الكلية الإنجيلية فى بيروت [1] ١٠٤ من المسلمين وفى كلية

(١) هى الجامعة الأمريكية وكانت تسمى (الكلية السورية الإنجيلية) ويرمزون لها بهذه الحروف S.P.C.

الآستانة ٥٠ وفى كلية المبشرين فى كدك باشا فى الآستانة أيضاً ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر إذن خفى بجواز التردد على الكلية الأولى والثانية .

وانتقل إلى قسم التأليف فقال : كان طبع كتب التبشير مباحاً فى تركيا منذ مدة طويلة إلا أن مهمة بائعى الكتب المتنقلين كانت محفوفة بأنواع الصعوبات ، فأصبح الآن بيع الكتب التبشيرية مباحاً بسبب حرية النشر التى عقبت الدستور ، فبيع فى السنة الماضية للمسلمين ما يزيد على ٩٠٠٠ نسخة من هذه الكتب وليس هناك صعوبات تقوم فى سبيل بيع الكتب المختصة بانتشار التبشير ولكن يجب على المؤلفين عدم الخوض فى غمار المناقشات الدينية لأن الحكومة الحاضرة لا تسمح البتة بنشر الكتب التى على شاكلة مؤلفات فندر .

وقال عن الأعمال الطبية والخيرية : إنها منتشرة جداً فى البلاد العثمانية . ومما يجدر ذكره أن القسيس بيت التابع لإرسالية التبشير فى الآستانة عين رئيساً للجنة الإسعاف الخيرية التى تأسست تحت رعاية السلطان عقب مذابح أدنة . والتبشير الدينى جار بلا صعوبة فى المستشفيات التى يدير أعمالها المبشرون .

ثم قال عن الأعمال النسائية : إن الحكومة سمحت عقب إعلان القانون الأساسى لخمس فتيات عثمانيات مسلمات أن يتعلمن فى كلية البنات الأمريكية ليتهيأن لإدارة الأمور فى مدارس الحكومة للبنات كما أن عدداً قليلا من البنات المسلمات فى الولايات يتردد على مدارس إرساليات التبشير . أما الحكومة فتظهر الاحتفاظ التام بحالة تربية المرأة المسلمة وتحظر على النساء التردد على المجتمعات العمومية .

وقال عن أعمال التنصير : إن الحكومة العثمانية تتدخل ولو من طرف خفى عندما يتصل بها خبر اعتناق مسلم للدين المسيحى فتزجه فى السجن لأى سبب كان أو تبعده سراً عن وطنه جزاء ارتداده . وكان الإعدام من قبل عقاباً للارتداد عن الإسلام ولم يزل المرتد فى أيامنا هذه عرضة للعذاب الأليم . ومما لا مرية فيه أن الموظفين المتنورين يمجون هذه الأعمال . أما التبشير الإنجيلى فى الشوارع والأسواق فمحظور . وقد دخل التسامح فى شكل جديد عقب قبول اندماج المسيحيين فى الجندية لأن ارتداد المسلم عن دينه كان يعتبر خيانة ووسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية . أما الآن فأصبحت مسألة اعتناق الدين المسيحى دينية محضة .

ثم قال صاحب التقرير إنه يتعذر إدراك ما يخبئه لنا المستقبل لأن بوادر الأحوال تدلنا على أن الحكومة العثمانية لا ترغب فى منح الحرية الدينية الحقيقية لأن الدين الإسلامى هو دين الحكومة الرسمى ولم يخرج القانون الأساسى إلى حيز الفعل إلا بقدر انطباقه على الشرائع والتقاليد الإسلامية ، ومهما يكن من الأمر فإن إرساليات التبشير لا تشكو ضيما بعد أن أسفر التحقيق الذى أجرى فى إرساليات التبشير فى الآستانة وسلانيك ووان ومرعش وعين تاب عن أن خطة الحكومة الحاضرة موجبة لاستنهاض همة المبشرين .

وبعد أن انتهى البحث عن الحالة فى السلطنة العثمانية انتقل المؤتمر إلى البحث فى الانقلابات السياسية فى فارس فألقى القسيس (إسلستين) الذى مضى عليه ٢٣ سنة فى هذه البلاد تقريره فى هذا الموضوع فوصف الحالة الحاضرة السياسية والحركة الاجتماعية فى فارس وقال : إن عصر الحرية الدينية سيزيد فى عدد البابيين أو البهائيين ، وأنه يوجد ألوف من الفارسيين ينبذون الإسلام ويندمجون فى بعض المذاهب أو يظلون بلا عقيدة دينية فظهر على أثر ذلك توتر فى العقائد الدينية الإسلامية فى كل أقاليم فارس وهذه الأمور حملت صاحب التقرير على القول بأن الإسلام ينحط فى البلاد الفارسية وقال : إن أعمال التبشير فى هذه البلاد توجب مزيد الحيطة والتستر نظراً للأحوال الخاصة التى تمتاز بها فارس وهو يشير على المبشرين ببذل قصارى الجهد للإقناع واستجلاب القلوب إلا أنه يحذرهم من السب فى الإسلام أو ذكر انحطاطه من حيث أصوله الدينية ، خصوصاً وأن موقف الفارسيين تجاه المبشرين هو موقف حسن فى الغالب إذ كثيرون منهم يرغبون فى تربية أولادهم فى مدارس المبشرين مع علمهم أنهم يتعلمون الإنجيل لكن هذه الرغبة لاتدل على أنهم يودون اعتناق المسيحية بل إن تشوقهم إلى التعليم صادر عن علمهم أنه هو الدواء الناجع لاتقاء الصعاب التى تتخبط فيها فارس الآن فهم لا يرغبون فى المسيحية بل جل ما يتوخونه هو اقتباس مبادئ الحضارة العصرية .

وبعد أن فرغ المؤتمر من الخوض فى الانقلابات فى فارس انتقل إلى أقاليم آسيا الوسطى التى لم تصل إليها إرساليات التبشير مثل الأفغانستان والتركستان الصينية والروسية والأقاليم الروسية الآسيوية فتلا تقرير الكولونيل (ج . ونجت) الذى يشير إلى بعض الأعمال التى بوشرت فى آسيا الوسطى . فاتضح منه أنه تعذر على المبشرين الإنكليز اجتياز الحدود الهندية للدخول فى آسيا الوسطى بسبب العراقيل التى توجدها الحكومة الإنكليزية منعاً لهم من اجتياز هذه الحدود . لكن سبقها مبشرون آخرون إلى هذه البلاد إذ هبطت إرسالية تبشير أسوجية بروتستانية مدينة (كاشغر) و (يركند) وتأسست إرسالية تبشيرية مجرية فى (له) وعرج مبشرون بلجيكيون كاثوليك إلى (خوجلة) وتوجد إرسالية تبشيرية طبية دانمركية فى (هوتى مردان) تقوم بها النساء ووظيفتها التبشير بين النساء المسلمات وهى على أهبة الهبوط إلى (كابل) ومما لا شك فيه أن النساء اللواتى يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة لأن المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات ولا يضمرون لهن سوءاً ولكن يعتور أعمال المبشرين فى هذه البلاد صعوبات ويمكننا أن نعرف موقف حكومة الأفغان الرسمى بمراجعتنا نبذة من خطاب ألقاه أمير الأفغان على مسامع الطلبة المسلمين فى مدرسة لاهور . إذ قال لهم « لا خوف عليكم من أن الدين المسيحى أو أى دين آخر ينتزع منكم العقيدة الإسلامية عقب اقتباسكم التعليم الغربى ، ولكن ينبغى لكم أن تقوموا قبل كل شىء باقتباس العقيدة الإسلامية وأنتم فى مقتبل عمركم » واتضح بعد ذلك أن المبشر (هوغبرغ) التابع لإرسالية التبشير الأسوجية الذى أخذ يبشر بين المسلمين فى التركستان الروسية اضطر أن يفر من مقاومة الحكومة الروسية له إلى (كاشغر) حيث لقى مزيد التسامح من الحكومة الصينية .

وقرئ بعد ذلك تقرير المس (جنى فون ماير) المبشرة فى (تفليس) وهو يحوى أموراً تاريخية تتعلق بالتبشير بين المسلمين القاطنين فى روسيا . والقسم الأول من هذا التقرير يتعلق بتاريخ تنصير تاتار قازان أفواجاً وإلى المساعى التى بذلها المبشر الأرثوذكسى (إيلمنسكى) لتنصير المسلمين وجعلهم روسيى النزعة ، وقد لاقى ما لاقاه من المقاومة فى هذا السبيل نظراً لشدة نفوذ التاتار وتسيطرهم على الشعوب غير النصرانية فى روسيا . وتقول صاحبة التقرير إنه مهما كانت درجة مساعى المبشرين الأرثوذكس فإنها لا تعادل ما يبذله المبشرون البروتستنت فى هذا السبيل . وقد تأسست جمعية التبشير الأرثوذكسى سنة ١٨٧٠ وهى منتشرة فى أكثر الأقاليم الروسية وسيبريا ومركزها فى (موسكو) وكلفت حتى الآن ما يربو على خمسة ملايين ريالا وهى تدبر أعمال ٧٠٠ مدرسة يتعلم فيها ١٩٠٠٠ تلميذ وتنصر بواسطتها ٤٤ مسلماً سنة ١٩٠٨ وبلغ ما نصرته للآن ١٦٧٠ مسلماً . وأخذ التبشير ينتشر فى ولاية (توبولسك) بواسطة جمعية التبشير المركزية المخالفة للإسلام وهى جمعية أرثوذكسية . وتوجد جمعيات تبشير أرثوذكسية كثيرة فى ولايات (فولغا) تتضافرن جميعهن فى أمر التبشير ويؤسسن المدارس لتعليم أولاد التاتار والتشوفاش . قالت صاحبة التقرير : ولكن الأعمال التى يقوم بها المبشرون

الروس بين التاتار عقيمة لأن التتار متعصبون متمسكون بدينهم وهم أنفسهم مبشرون نشيطون . ثم أشارت إلى جمعية التبشير الكنسية الروسية فى القديم وأنها تقوم بعمل مزدوج فتعلم المبشرين فى مدارس تعلم فيها اللغة التركية والعربية . ولها أيضاً مبشر يتنقل من محل إلى آخر فيتنصر على يده كل سنة أربعة أو خمسة من المسلمين . وللمبشرين الروس إرساليات تبشير أخرى منتشرة فى الولايات الروسية الأوربية وبعضها طبية . ولكن مهمة المبشرين تزداد حيثما وجدت قبائل القرغز والباشكير والتركمان على كثب من التاتار لأن هذه القبائل تقع تحت نفوذها وهناك يستفحل النزاع بين المبشرين المسيحيين والتاتار .

انتقلت بعد ذلك صاحبة التقرير إلى ذكر الأعمال التى تقوم بها إرساليات التبشير البروتستانية فاعترفت بعدم اهتمام الكنائس البروتستانية الروسية بتبشير العشرين مليوناً من المسلمين والخمسة الملايين من الوثنيين القاطنين فى روسيا لأنها لم تقم للآن بعمل يذكر . وقالت : إن كنائس بروتستانية أخرى قامت بهذه المهمة ولها مبشرون فى تركستان وبين قبائل القرغز . وأهم إرساليات التبشير التى تسعى لتنصير المسلمين فى كل أقطار روسيا هى إرسالية التبشير الأسوجية التى لها مركز عام فى تفليس وفروع للتبشير فى بخارى وأورنبرغ وسمرقند وكاشغر .

وبما أن الحكومة الروسية لم تسمح لهذه الإرساليات بالتعليم ولا بالتطبيب فهى تكتفى بتوزيع الكتب التبشيرية بالفارسى والتركى وبلغ عدد الذين تنصروا بواسطتها ١٤ شخصاً . أما إرساليات التبشير فى بخارى وسمرقند فاضطرت إلى توقيف أعمالها عقب الاضطرابات التى طرأت . وهذه الإرساليات تجد صعوبات شديدة لدى الباشكيريين ولم تحصل على نتائج صريحة . وتقوم جمعية التوراة الإنكليزية والأجنبية بنشر نسخ الإنجيل فى كل البلاد الروسية ، ولها مركزان واحد لروسيا الأوربية والتركستان والآخر لسيبريا وهما يقومان بنشر الأناجيل بعشر لغات إسلامية ويظهر أن عدد الأناجيل التى تباع للمسلمين ازداد عن ذى قبل .

وختمت صاحبة التقرير كلامها بالإشارة إلى بعض إرساليات تبشير صغيرة منتشرة فى الإقاليم التى يقطنها المسلمون .

وتليت بعد تقرير المس (جنى فون ماير) الطويل ثلاثة تقارير أولها للقسيس (ويلسون) عن أحوال الهند ، والثانى للقسيس (جون تكل) عن تقدم الإسلام فى الهند ، والثالث للقسيس (ويتبرخت) عن حركات الإصلاح فى الهند . وقد جاء فى التقرير الأول للقسيس ويلسون أن الحركة العصرية التى تتمخض بها الأرجاء الهندية لم تأت بثمرة للآن ولم تظهر إلا بشكل أفكار وميول ونزعات . وليتسنى الوقوف على ما يكون من تأثير هذه الحركة على أعمال التنصير يجدر الانتظار ريثما تتحقق مآرب حاملى لواء الإصلاح فى الهند . وليس هناك داع للاستغراب أو الفشل إذا أظهر المسلمون عدم إقبال على اقتباس المبادىء الإنجيلية لأن الاهتمام بالحياة العقلية والسياسية الحديثة يدعو إلى تعليق الآمال بالنهضة التى ترفع شأن الإسلام فلا يبقى ثمة مجال فى نفوس المسلمين للتفكير فى أمور أخرى . لكن صاحب التقرير لا يشك فى أن التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الإسلامية . وقد قال بعد ذلك : « إن مطالعة التاريخ المجرد من المحاباة والغرض ، تميط اللثام عن حقيقة مصادر الإسلام لأن العقل الذى اعتاد التنقيب العلمى لا يقبل الاعتقاد عفواً وبلا روية بالعقائد التقليدية». وهو يعتقد أن انتشار التعليم يساعد على تبديد الخرافات القديمة بخصوص المسيحية . واختتم القسيس ويلسون تقريره مؤملا بالحصول على نتائج حسنة فى المستقبل .

وتلاه القسيس (جون تكل) فاستهل تقريره بإلقاء نبذة عن تاريخ انتشار الإسلام فى الأقاليم الهندية ، وقال : إن الإسلام آخذ فى الازدياد وإن تكن المجهودات التى تبذل فى سبيل انتشاره تكاد تكون فى حكم العدم .

وأشار إلى مقاطعة البنغال فقال : إن عدد المسلمين فيها بلغ سنة ١٨٧١ ستة عشر مليوناً ونصف مليون وكان الوثنيون ١٧ مليوناً ثم اتضح من إحصاء سنة ١٩٠١ أن المسلمين فى هذه المقاطعة صاروا ١٩ مليوناً ونصف مليون والوثنيون ١٨ مليوناً . ثم تساءل عن أسباب نمو المسلمين ، وأجاب إنه لا يمكن أن ينسب هذا النمو إلى تعدد الزوجات لأن ٢٩ فى المائة فقط من مسلمى البنغال متزوجون بأكثر من واحدة كما أنه لا يمكن القول إن هذه الأسباب ناشئة فى أكثر الأوقات عن التثبت بصحة العقيدة الإسلامية لأنه اتضح له من التحقيق الذى قام به للوقوف على الأسباب التى حملت ٤٠ شخصاً على اعتناق الدين الإسلامى فى أوقات متفاوتة أن ٢٣ منهم اعتنقوا الإسلام لأسباب ناشئة عن العواطف ، وسبعة منهم لا تبارك فى أحوالهم والباقون أسلموا لأسباب مختلفة . وقد أسفر التحقيق الذى قام به مبشرون آخرون عن نتيجة واحدة من حيث نسبة الأسباب ، وقال : إن الوقوف على أسباب نمو الإسلام يمهد للحصول على وسائل توقيف تياره ولذلك فقد ذكر لأعضاء المؤتمر بعض اقتراحات تتعلق بالاحتياطات

التى يجدر بالمبشرين اتخاذها وأهمها ضرورة زيادة القوات التبشيرية الاختصاصية . وأيد اقتراحه بقوله : إن ثلث مسلمى الهند الذين بلغوا فى إحصاء سنة ١٩٠١ اثنين وستين مليوناً ونصف قاطن فى مقاطعة البنغال ، ومع ذلك فلا يوجد فى هذه البلاد مبشرون اختصو بتبشير المسلمين .

وانبرى بعد ذلك القسيس (ويتبرخت) فتلا تقريره ومما قاله إنه يجدر بالمبشرين إظهار مزيد اللياقة عندما يتحككون بالمسلمين المتنورين وأن ظهور بعض الجهال بمظهر العظمة والغطرسة قد زال الآن وحل محله احترام حسنات المدنية المسيحية وأعمال الدين المسيحى الخيرية . ثم أوصى المبشرين بالتواضع وقال لهم : إذا كان المسلم يبالغ فى سؤدد ومجد وحضارة بغداد وقرطبة ودرجة ترقى أفكار علماء العرب فلنذكر نحن أيضاً أن هذا التاريخ يحوى صحائف مجيدة ولنتذكر أيضاً أنه وإن يكن الإسلام بقى دين الشعوب التى هى دوننا فى المدنية فإن أنصاره نجحوا أكثر من المسيحيين بإزالة الحواجز التى تفصل بين الأجناس .

ثم جاء بعد ذلك دور المستر (رودس) التابع لجمعية التبشير فى الصين الداخلية وهى الجمعية الوحيدة التى توغلت فى الصين وبعد أن تكلم عن نسبة المسلمين العددية وأحوالهم الاجتماعية والسياسية تكلم عن أعمال التنصير التى يقوم بها المبشرون فقال : إن أعمال المبشرين كانت حتى الآن فى زوايا الإهمال إلا أن المجهودات التى بذلها هؤلاء تكللت بالنجاح وأبادت خرافات كثيرة فتوطدت العلاقات بينهم وبين المسلمين واعتنق بعض المسلمين الدين المسيحى وهم منهمكون إلى الآن بنشر الإنجيل ولكن لم يبلغ مسامعه أن عالماً مسلماً اعتنق الدين المسيحى ، ثم أشار بعد ذلك إلى العقبات التى يلقاها المبشرون فى الصين وأهمها ضرورة وجود لغتين للمبشرين : اللغة الصينية التى تستعمل مع العامة واللغة العربية لأجل العلماء والطلبة ، ويوجد هناك عقبة أخرى وهى صعوبة وجود كلمة فى اللغة الصينية للدلالة على اسم الجلالة . واختتم تقريره بلفت أنظار المبشرين إلى الصين وقال : إن النصر ليس حليف الإسلام فى الصين إلا أن العلماء المسلمين ينكفئون على هذه البلاد من الهند وجزيرة العرب وبلاد الدولة العثمانية لأجل توطيد أركانه هناك ، وحض الخطيب أعضاء المؤتمر على تعزيز عدد المبشرين الواقفين على اللغة العربية وإرسال نساء مبشرات للقيام بالتبشير الطبى وسط النساء الصينيات وطلب تأسيس إرساليات طبية ومستشفيات .

ثم ألقى على مسامع المبشرين سؤالا يتعلق بمسلك الحكومات نحو المبشرين ويتضمن البحث عن أحوال المسلمين الموجودين تحت سيطرة المسيحيين أو الذين تحت حكم الوثنيين ، وقد اتضح من الخوض فى هذا الموضوع أن هولندة هى الحكومة الوحيدة التى تروج أعمال المبشرين وتستحق رضاهم عليها . ويظهر أن ألمانيا أخذت تقتدى بها منذ مدة قريبة .

أما انكلترا فهى هدف لانتقاد المبشرين لأنهم يزعمون أن المسلمين فى مصر يهتضمون حقوق الأقباط !!! لأن تعليم الدين الإسلامى جبرى فى المدارس المصرية والحكومة المصرية هى التى تنفق عليه . أما التعليم الدينى للتلامذة الأقباط فاختيارى ويتكفل بنفقته المجلس الملى القبطى .

وأما فى السودان فأعمال المبشرين معرقلة حتى أن كلية غوردون التى أسستها الأمة البريطانية (١) أصبحت مدرسة إسلامية محضة . والحكومة الإنكليزية فى نظر المبشرين ملومة على انتهاجها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الإسلامية فى مقاطعة (سياره ليونه) .

كما أن ذوى الأمر من الإنكليز فى نيجيريا لا يحسنون معاملة إرساليات التبشير المسيحية ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية بينما هم يعضدون المدارس التى تعلم القرآن .

وأما الحكومة الفرنساوية فتسلك خطة الحذر التى تنطوى على الود والإخلاص نحو المبشرين لأن علاقاتها مع المبشرين فى مداغسقر لم تتحسن وإن تكن تسمح للمبشرين بارتياد الجزائر وتونس بدون تعضيد ، ويخشى أن تحظر عليهم التجول فى الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد ووادای .

وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها فقد يتفق فى بعض الأوقات أنها تروج أعمال المسلمين التى تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية .

أما خطة الحكومات الوثنية نحو المبشرين فتختلف باختلاف طباع ومزايا الحاكم الوثنى . وقد قال المبشرون : إنه مهما بلغ طيش الحاكم الوثنى وهمجيته ودرجة اضطهاده فهى لا تبلغ درجة الاضطهادات والأعمال الهائلة التى تخللت تاريخ الإسلام ! وهم

---

(١) يتجاهل هذا الخطيب المتعصب أن كلية غوردون مدرسة حكومية تنفق عليها حكومة السودان من ميزانية بلاد أهلها مسلمون . فهل كان يريد أن تأخذ حكومة السودان من المسلمين أموالهم لتنفقها على تعليم أبنائهم تعليماً نصرانياً . ومع ذلك فحكومة السودان تساعد دعاة النصرانية إلى أقصى حد .

يفضلون أن يكونوا مرتبطين بعلاقات مع الوثنيين المستقلين لأنه مهما كانت فائدة حلول الحكومة الغربية محل الحكومة الوثنية فإنها تروج تيار الإسلام وتكون مجلبة للعراقيل فى وجه المبشرين من حيث الأعمال التى يقوم هؤلاء بها تجاه المعضلة الإسلامية .

وقال المبشر وطسون : إن الواجب الضرورى يقضى على المبشرين بالاهتمام بأمر البلاد الوثنية التى يتهددها الإسلام .

الجلسة النهائية

قالت مجلة العالم الإسلامى الفرنساوية : إنه يتعذر عليها أن توفى البحث حقه عن سائر موضوعات هذا المؤتمر لأن هناك كتاباً آخر ظهر فى عالم المطبوعات وفيه باقى أبحاث المؤتمر ولكنها لم تحصل عليه . وهى تكتفى الآن بذكر بعض أمور تتعلق بالجلسة النهائية للمؤتمر .

ألقى الرئيس خطاباً يشير فيه إلى ارفضاض المؤتمر ثم وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب عليها من جهة « تذكار مؤتمر لكنو سنة ١٩١١ » ومن الجهة الأخرى العبارة الآتية : « اللهم يامن يسجد لك العالم الإسلامى خمس مرات فى اليوم بخشوع انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح » .

أما القرارات التى دونها المؤتمر فى محضر جلساته فهى كما يأتى :

يعقد المؤتمر مرة أخرى فى القاهرة سنة ١٩١٦ وإذا طرأت هناك سياسة أو أمور أخرى تحول دون اجتماعه فى هذه المدينة فيعقد فى لندن . ومؤتمر لكنو يوافق مؤتمر إرساليات التبشير الذى عقد سنة ١٩١٠ على ضرورة حصر المساعى فى القارة الأفريقية دون أن تمس المساعى التى تبذل فى البلاد الباقية . ولذلك فهو يرى أنه يجدر بالجمعيات التبشيرية أن تتكاتف وتتعاضد لكى تؤلف سلسلة قوية من إرساليات التبشير تطوف كل أفريقية وتؤسس مراكز قوية فى الأماكن التى هى موطن الخطر . ويجب أن يكون إخراج هذه الفكرة إلى حيز الفعل موضع بحث أهم وأوسع مما كان فى السابق سواء من حيث تربية المبشرين أو حسن اختيارهم ، الأمر الذى يحتم اتخاذ التدابير بلا تأخير لإتمام المشروعات التى بوشر بها .

ويرى المؤتمر أنه من الضرورى العاجل تأسيس مدرسة فى مصر خاصة بالتبشير تكون عامة لكل الفرق البروتستانية ويشدد بلزوم التدقيق التام فى انتقاء المبشرين الأكفاء

الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص من تاريخ الدين الإسلامى وأهم المؤلفات التى تتعلق به .

وأعضاء المؤتمر يدعون اللجنة الدائمة لأن تدرس بمزيد من الدقة أدوار تقدم الإسلام فى أفريقية وجزائر الملايو ليكون بحثها أساساً للمناقشات فى المؤتمر المقبل .

ولما كان تنصير النساء المسلمات مع أولادهن ورفع شأنهن يتطلب دخول النساء المسيحيات فى العمل فأعضاء المؤتمر يشيرون على إرساليات التبشير بالتشديد على المبشرين والمبشرات بضرورة التحكك بالرجال والنساء عند قيامهم بأعمالهم التبشيرية وأن توسع الإرساليات نطاق الأعمال التبشيرية التى تقوم بها النساء فى أفريقية بوجه خاص وأن تعنى بتربية النساء المبشرات .

واختتم المؤتمر قراراته مستنهضاً همة الكنائس التبشيرية فى الهند لإرسال قسم من المبشرين الموجودين لديها حتى يشدوا أزر المبشرين فى أفريقية .

التنظيم المادى لإرساليات التبشير

انتقلت بعد ذلك مجلة العالم الإسلامى إلى البحث فى التنظيم المادى لإرساليات التبشير البروتستانية الأمريكية والإنكليزية والألمانية فاستهلت بحثها بوصف جمعية التبشير والكنيسة الإنكليزية وقالت : إن هذه الجمعية أهم جمعية بروتستانية .

وقد مضى على تأسيسها ١١٠ سنين ويدير أعمالها (١٤٥) أسقفاً ينوبون عن الرئيس وهو أسقف كنتربورى الإنكليزى ، وقد كانت إيراداتها سنة ١٧٩٩ خمسة وعشرين ألف فرنك فبلغت سنة ١٩١٠ عشرة ملايين من الفرنكات وهذا غير المبالغ الهامة التى ترد عليها وتصرفها فى سبيل التبشير من غير تدوين فى سجلات صندوق الجمعية .

ومن مراجعة التقارير التى نشرتها هذه الجمعية سنة ١٩٠٦ اتضح لنا أن مجموع الاكتتابات والإيرادات التى وردت على الجمعية فى هذه السنة من البلاد الإنكليزية فقط ٢٢٨,٥٢٩ جنيهاً وبلغت الإيرادات الأخرى ١٠٠ ألف جنيه وهى مؤلفة من الاكتتابات التى ترد إليها من البلاد الأجنبية ومن المبالغ التى يجمعها المبشرون . ولها فروع عديدة لجمع النقود لا تقع تحت حصر .

ولإدارة هذه الجمعية أهمية كبرى تظهر لنا من مراجعة النفقات التى تتكبدها وهى التى أنفقت سنة ١٩٠٦ مبلغ ١٦,٥٨٤ جنيهاً فى سبيل إدارة أمورها ومبلغ ٢٧,٥٨٤

جنيهاً فى سبيل تحصيل الاكتتابات والإيرادات . وقد كانت إيرادات هذه الجمعية فى السنة الماضية ٤٠٣,٦١٥ جنيهاً ونفقاتها ٣٩٤,١١٣ جنيهاً وبلغ ما أنفق على الأعمال التبشيرية ٣٢٥,٠٠٠ جنيه منها ٣٥,٠٠٠ جنيه صرفت للمبشرين الموجودين فى غير البلاد الإسلامية . فيكون مجموع ما تنفقه هذه الجمعية كل سنة للتحكك بالإسلام ٧,٥٠٠,٠٠٠ من الفرنكات وهى موزعة كما يأتى : ٢١,٥٢١ جنيهاً لأفريقية الشرقية و ٣٣,٠٤٨ جنيهاً لأفريقية الغربية و ٦,٢٣٤ جنيهاً للتبشير فى القطر المصرى و ٨٢,٢٤٧ جنيهاً للبلاد العربية والعثمانية والفارسية و ١٢٢,٨٤٦ جنيهاً للهند و ٥١,٦١١ للصين .

وقد قالت هذه الجمعية فى تقريرها عن سنة ١٩١١ إن أعمال التبشير فى البلاد الإسلامية ما زالت صعبة وعرضة للنفقات الجسيمة إلا أن نتائج أعمالها أخذت تظهر للعيان . وقالت : إن نطاق الأعمال التبشيرية اتسع عن ذى قبل فى فارس .

أما فى مصر فكل المجهودات تبذل فى نشر التبشير وتوسيع نطاق التعليم فى الأرياف وقد كان من شأن السكة الحديدية التى أخذت تجوب شمال نيجيريا أنها مهدت لمبشرى هذه الجمعية سبيل تأسيس مراكز تبشيرية فى الأمكنة الإسلامية . والإسلام يندفع نحو اقتباس المدنية العصرية وهذه النهضة التى يتمخض بها المسلمون تدعو إلى تنافس حقيقى بينهم وبين المبشرين للاستيلاء على المراكز التى يتوخونها . وقد ظهرت هذه النهضة أيضاً فى أفريقية الشرقية الألمانية حيث صارت السكة الحديدية منهمكة بنقل بضائع المسلمين إلى أحشاء البلاد .

وكذلك الحال فى السودان المصرى الذى ظهرت فيه حركة إسلامية حقيقية تطرقت إلى داخل البلاد ، وتوجد أيضاً فى نيجيريا الشمالية بعض أقاليم وثنية على حدود بلاد إسلامية كبيرة وهذه الأقاليم أصبحت عرضة لبحر الإسلام الطامى .

أما فى نيجيريا الجنوبية فينتظر حدوث نزاع بين المسلمين والمبشرين من يوم إلى آخر ، ويتفوق المسلمون فى أكثر هذه الأقاليم على إرساليات التبشير فى المال والنفوذ وبينما كان مسيحيو مدينة (أبايوكوتا) يخصصون مبلغ ٧٥,٠٠٠ فرنك لأجل بناء مدرسة كان مسلمو مدينة (لاغوس) يخصصون ٢٥٠,٠٠٠ فرنك لبناء مسجد جديد .

وللجمعية أيضاً إرساليات تبشير فى مقاطعة (سياره ليونا) يرجع عهدها إلى سنة ١٨٠٤ فيها ٦٣ مدرسة و ٣٩ معهداً يتعلم فيها ٤٥٠٠ طالب والمسلمون فى هذه المقاطعة كثيرون وأغلبهم فى داخل البلاد .

وقد كان لمبشرى هذه الجمعية القدح المعلى فى توسيع نطاق المستعمرات الإنكليزية بأواسط أفريقية وغربها ، لأن المبشرين كانوا يستعينون بالزنوج المتنصرين فى ارتياد البلاد وتأسيس مراكز التبشير وتوطيد النفوذ الإنكليزى . وكذلك هى إرساليات التبشير فى (لاغوس) و (أبايوكوتا) و (أبادان) و (لوكوجه) .

وحاصل القول إن لهذه الجمعية فى هذه الجهات ثلاث أسقفيات وهى فى (يوروبا) ونيجريا الجنوبية ونيجيريا الشمالية وفى المقاطعة الأخيرة يجد المبشرون أنهم فى بلاد إسلامية محضة وفى المقاطعة الأولى والثانية لايوجد من المسلمين إلا التجار وأصحاب القوافل كما هى الحال فى لاغوس . والمعاهد والمدارس التى للجمعية فى نيجريا الشمالية قليلة بالنسبة لغيرها للسبب الذى ذكرناه وهو كثرة وجود المسلمين فيها .

وتقول الجمعية فى تقريرها : إن تقدم المسلمين فى مقاطعة (يوروبا) موجب للتملق الشديد ، ومما يدل عليه أنهم خصصوا ٢٥٠,٠٠٠ فرنك لتشييد مسجد فى (أبايوكوتا) . كما أن الإسلام ينتشر انتشاراً هائلا فى مقاطعة (ايجابو) التى كانت سنة ١٨٩٢ وثنية محضة فأصبحت لا تخلو قرية من قراها من مسجد حتى إن مدينة (ايجابواود) لا يكاد يخلو شارع من مسجد للمسلمين ، وقد توطد نفوذ الإسلام فى (اود) .

والمسلمون أحرزوا فى المدة الأخيرة حقوقهم المدنية ونالوا الحرية التامة فى إقامة الصلاة وشعائر الدين الإسلامى مع أن ملك هذه البلاد كان لا يطيق ذكر المسلمين وكذلك يزداد عن المساجد فى (يوروبا) الغربية التى تؤسس بجانبها المدارس العديدة لتعليم اللغة العربية . ورغما عن كون الأهالى فى بعض الجهات مثل مقاطعة (ايبوس) يبتعدون عن الإسلام فإن نطاق الإسلام آخذ بالاتساع ، ففى (كتسا) مثلا الواقعة فى نيجريا الشمالية لا تجد محلا خالياً من المعلمين المسلمين وآية ذلك أن المسلمين يهبطون على القرى الوثنية ويتحككون بهم ولا يمضى ردح من الزمن حتى يستعمل الوثنيون الأسماء الإسلامية ويجعلون الآثار الدينية التى يحملها المسلمون ثم يتدرجون فى الإسلام .

والأمر الذى أوجب انتشار الإسلام فى (كوتا) هو الازدواج الذى يحصل بين المسلمين والوثنيين ، أما فى (بوشى) ففضل انتشار الإسلام عائد إلى التجار (الهوسيين) الذين ينشرون الإسلام ويبيعون بضاعتهم فى آن واحد. وقد استفحل أمر المشكلة الإسلامية فى أعين مبشرى الجمعية فى مقاطعة (يوروبا) لدرجة أن المبشرين هناك يطلبون الذهاب للتبشير بين قبائل (بربرى) الوثنية القاطنة فى (بورنو) والتى تتراوح بين المليون والمليونين من النفوس .

وقد قال القسيس (أوغنيبى) فى تقريره عن (يوروبا) إنه أراد التحكك ببعض مسلمى (ايلورن) فطلب منه بعضهم تأسيس مدارس وقال له آخرون إنهم يأسفون لعدم تمكنهم من قطع رأسه . وقد ظهر للمبشرين أن نفوذ العناصر الفولانية والبولانية الإسلامية منتشر حتى فى الأقاليم الوثنية المحضة .

استمرت مجلة العالم الإسلامى الفرنسوية فى تلخيص الكلام على جمعية التبشير الكنسية فأشارت إلى ما جاء بنصوص أعمال مبشرى هذه الجمعية فى أفريقية الشرقية .

وقد كان الدكتور (كريف) أول من دخل هذه الديار وذلك أنه طرد من بلاد الحبشة سنة ١٨٤٤ فهبط إلى ممباسة ، ثم تبعه مبشرون آخرون أخذوا يطوفون عرض البلاد فاتسعت أعمالهم على الشواطىء منذ سنة ١٨٧٤ وكانوا يؤسسون قرى يقطنها الأرقاء المعتوقون وشملت أعمالهم التبشيرية أفريقية الألمانية وبلاد (أوغندا) ثم أسسوا بعد ذلك إرساليتى تبشير : واحدة على مقربة من جبال (كليمانا جارو) وأخرى فى سفح جبل (كانيا) ويبلغ عدد معاهدهم التبشيرية فى أفريقية الشرقية الإنكليزية فقط ٢٢ ولهم ٢١ معهداً علمياً يتعلم بين جدرانها ١٠٧٢ تلميذاً وتبلغ الإيرادات التى يتناولونها من المبشرين ٧٠ ألف فرنك : والمبشرون القاطنون فى (ممباسة) وفى (مزيزيمة) يجدون أنفسهم فى بلاد إسلامية محضة كما أن المسلمين مسيطرون على كل ولاية (السيدية) وتوجد فى الجهة الشمالية من هذه البلاد إرسالية تبشير فى (جيلورى) التابعة لبلدة (مالندة) واقعة على مقربة من معهد عربى إسلامى قديم العهد . ويرى مبشرو هذه الجهات أن الإسلام ينتشر فى الداخل بين صفوف القبائل الوثنية المدمنة شرب الخمر . وأخذ يتطرق إلى الوثنيين المنتمين إلى قبائل (وادابيدة) رغماً عما تمتاز به هذه القبائل من كثرة السحرة والدجالين بينها . ويوجد كثير من وثنيى (واديغو) ينقادون للإسلام بسهولة ، ولتجار الساحل المسلمين قرى بنوا فيها مساجد حتى فى جوف بلاد (كبارة) الواقعة فى سفح جبل (كانيا) على مقربة من المبشرين . وقد أصبحت الحال موجبة للروية والتفكير لدرجة أن السير (بارسى خيروار) حاكم أفريقية الشرقية الإنكليزية صرح فى المؤتمر الذى أقامه المبشرون على ظهر الباخرة (غالف) فى البحر الأحمر أنه يجب على الحكومة وعلى المبشرين أن يشتركوا فى العمل ضد الإسلام .

وقد جاء فى تقرير جمعية التبشير أن المسلمين ليسوا إلا قسما من أهالى هذه المقاطعة إلا أنهم يؤلفون العنصر التجارى العامل الذى يتنقل من جهة إلى أخرى ، ولذلك فإن

المبشرين يوجهون مجهوداتهم لتأليف كتب بالرطانة الساحلية وعدا بعض الكتب الدينية التبشيرية التى نشرت بهذه الرطانة فإن المبشرين ينشرون مجلة شهرية يبلغ عدد قرائها ٢٠٠ ، ويعلق مبشرو هذه الجمعية أهمية على انتشار الإسلام فى أفريقية الشرقية الألمانية ، وقد قالت المبشرة المس (فورسيت) إنها كانت تجد مساجد صغيرة حيثما مرت ، وفى بعض الأوقات كانت ترى المساجد بشكل أكواخ صغيرة إلا أن هذه الأكواخ بمثابة مراكز للتبشير الإسلامى وأشار أحد المبشرين إلى المجهودات التى يبذلها المبشرون لأجل انتشار الإسلام . وذكر آخر أن اثنين وثنيين متنصرين اعتنقا الإسلام .

ويرى المبشرون أن الخصم الوحيد لهم فى هذه الجهات هو المسلم . ويرون أن بعض المسلمين الذين وزعت عليهم كتب تبشيرية مكتوبة بالرطالة الساحلية طفقوا يشترون التوراة والإنجيل وقالوا إن امرأة مسلمة فى ممباسة عنى المبشرون بمعالجتها فاعتنقت النصرانية .

ويرجع عهد دخول المبشرين إلى مقاطعة (أوغندا) إلى سنة ١٨٧٥ عندما صرح (متيسه) ملك هذه البلاد بارتياحه إلى اقتباس التربية الأوربية وما ذاع خبر هذا التصريح الذى فاه به حتى تبرع اثنان رغباً بإخفاء اسميهما بمبلغ ١٢٥ ألف فرنك ريثما يتسنى لجمعية التبشير إنفاذ إرسالية تبشير ، وفى الواقع تحركت الإرسالية سنة ١٨٧٦ ولكنها هوجمت فى الطريق وفقدت البعض من المبشرين . ثم بقيت فى (أوغندا) وتبعتها إرسالية تبشير كاثوليكية .

وقد أخذت الإرساليتان بتوسيع أعمالها بعد موت (متيسه) دون حصول أدنى منافسة بينهما ترجع فائدتها إلى المسلمين . إلا أن (موانغا) الذى تقلد الملك بعد (متيسه) كان ارتياحه قليلا لأعمال المبشرين ، ولذلك أصبح المسيحيون الوطنيون عرضة للاضطهادات الشديدة . لكن ما عتم أن خلع (موانغا) فأصبح المسلمون أصحاب الحول والطول فى البلاد وطردوا المبشرين من كاثوليك وبروتستان فى سنة ١٨٨٨ .

وما مضت سنة واحدة حتى أعيد (موانغا) إلى منصبه بفضل رعاياه المسيحيين فوافق سنة ١٨٩٠ على رفع العلم الإنكليزى لشركة أفريقية الشرقية البريطانية أى قبل أن تعلن الحماية البريطانية على بلاده بأربع سنوات .

وفى سنة ١٨٩٦ بارح (موانغا) بلاده فخلفه ابنه (شوا) الذى تعمد وسمى (داود) رغماً عن ثورة قامت بها الجيوش السودانية .

ومن ذلك الحين توطدت أحوال مقاطعة (أوغندا) السياسية ، ويوجد عدا الأهالى المسلمين فى هذه المقاطعة كثير من التجار الهنود والعرب والسوريين الذين يؤلفون كمية وافرة من المسلمين .

ثم جاء فى تقرير الجمعية أن اثنين من المسلمين اعتنقا النصرانية فى (أوغندة) بعد أن عنى المبشرون بمعالجتهما .

ويشعر المبشرون بالصعوبات التى يثيرها زعيم مسلم فى (كبيرا) الواقعة شرقى (أوغندا) حيث الإسلام ينمو ويتقدم سريعاً . وحاصل القول إن للمبشرين فى هذه المقاطعة ١٠١٠ معاهد أو محطات للتبشير و ١٤٧ مدرسة يتعلم بين جدرانها ٤٧,٤٢٤ تلميذاً ويبلغ ما يتناولونه من الإيرادات ٥٠٠ ألف فرنك . وتقدر ميزانية مبشرى هذه المقاطعة بمليون فرنك وهذا المبلغ الجسيم يؤيد وجود ١٠١٠ معاهد .

وقد كان للمنافسة التى حصلت ضد المبشرين الكاثوليك شأن كبير فى توسيع نطاق التبشير أكثر بكثير من فكرة مناوأة الإسلام ومناضلته . وعلى كل فسيرى الإسلام نفسه أمام قوة التربية والحضارة الإنكليزية التى يقوم بها المبشرون الإنجيليون .

وجاء بعد ذلك فى التقرير ذكر إرساليات التبشير فى مصر والسودان التى يرجع عهد تأسيسها إلى سنة ١٨١٥ عقب حروب نابليون حيث هبطت إرسالية التبشير على جزيرة مالطة وأخذ نطاقها يمتد وينتشر حتى بلغ مصر والحبشة واليونان وبلاد الدولة العثمانية وفلسطين .

ومن شأن هذه الإرساليات إرجاع كنائس الشرق سيرتها الأولى وتنصير المسلمين

لكن بالرغم مما يبذله المبشرون من الغيرة فى هذه البلاد الإسلامية لم تتكلل أعمالهم بالنجاح حتى إنهم أقفلوا مدرسة التبشير فى القاهرة فى سنة ١٨٦٢ بعد أن تخرج فيها بعض المبشرين .

ثم تأسست إرسالية تبشيرية فى مصر انتقلت إلى القدس عقب الاحتلال الإنكليزى للقطر المصرى وعززت سنة ١٨٨٩ بإرسالية تبشيرية طبية .

ولجمعية التبشير الإنكليزية فى مصر ستة معاهد للتبشير فيها كثير من النساء المبشرات ولها مدرسة تبشيرية ومدرسة داخلية ومدرستان للبنات فى القاهرة ومدرسة عالية فى

حلوان ولهذه الجمعية مكتبة هامة فى القاهرة . ويقوم مبشروها بنشر مجلة الشرق والغرب وتبلغ ميزانيتهم فى القطر المصرى ١٦٠ ألف فرنك . أما الإيرادات التى يتلقاها المبشرون من الوطنيين فلا تكاد تبلغ ٤٥٠ فرنكاً . وهذه الجمعية لا تعتبر إرسالياتها التبشيرية فى مصر أنها أهم ما لديها كما يتضح من تقريرها السنوى وقد كانت سنة ١٩١٠ مهددة بصعوبات وعقبات إذ حملت الصحف الإسلامية فى هذه السنة حملة شعواء على المبشرين عموماً . وقد كانت الصحف الوطنية خصوصاً تمتاز بما كانت تصب عليهم من كلمات السب والشتم وكان الشيخ سكندا (كذا) وامرأته عرضة للاضطهادات الأليمة وهذه المعاملة لم تمنع بائعة كتب مسلمة متنصرة أن تقوم بواجباتها بمزيد الغيرة والنشاط والأعمال الطبية مستمرة فى النمو إلا أنها لا تأتى بفائدة من الوجهة الدينية لأنه لا يكاد الطبيب يظهر بمظهر المبشر حتى تعلو حوله الاعتراضات كما كان شأن الدكتور (هربور) التابع لإرسالية تبشير النيل . وقد قام إمام جامع (حامول) حيث كان مكث الدكتور ستة أشهر فحث الأهالى على عدم حضور مذاكرة هذا الدكتور الذى استطاع مع ذلك إبراز بعض مناظر بالفانوس السحرى فى قرية (ستريس) وأسس فيها مدرسة صغيرة لتعليم التوراة . وللجمعية أيضاً مدرسة فى منوف وأخرى فى شبرا زنجى بقرب منوف بين سكان كلهم مسلمون .

وقد رصدت الجمعية بعض أموال لإقامة ذكرى (غردون) عقب موته فى الخرطوم وهذه الأموال مكنت الجمعية بعد فشل الخليفة من تأسيس إرساليات تبشير فى أم درمان والخرطوم وعطبرة ومليك وفى أواسط السودان مع مدارس بنات ، ولها أيضاً ثلاث مدارس للبنات فى السودان الشمالية . وأحوال مدرسة (عطبرة) سائرة من حسن إلى أحسن لأنه أصبح فى استطاعة المبشرين فى عطبرة أن يطلبوا من التلاميذ الصغار المسلمين أن يصلوا معهم صلاة الصبح . وهم يطلبون أيضاً مثل هذا الطلب من المرضى المسلمين فى مستشفى أم درمان .

واختتمت الجمعية نبذة تقريرها عن هذه الجهة قائلة : إن على أثر موت (ليوبولد الثانى) ملك بلجيكا أرسلت الحكومة ٥٠٠ جندى مسلم إلى مقاطعة اللادو فانتشر هؤلاء الجنود فى البلاد وأخذوا يفتحون المدارس الإسلامية وسط القبائل الوثنية . وللجمعية أيضاً إرساليات تبشير عديدة فى فلسطين أخذت تنتشر فى هذه البلاد منذ سنة ١٨٥١

وتفضل الجمعية إرسال مبشرات غير متزوجات لأن لهن تأثيراً على النساء المسلمات ، ولها مدرسة ومعهد للتبشير فى بغداد والموصل .

ويرجع عهد التبشير فى بلاد فارس إلى سنة ١٨١١ وسنة ١٨٣٤ حيث ابتدأ المبشرون الأمريكيون بالتبشير بين النسطوريين ثم بين المسلمين ، وقد اتضح للمبشر (بروس) سنة ١٨٦٩ أن المسلمين فى أصفهان يميلون إلى المجادلات الدينية فجاء إلى (جولفة) ومكث فيها حيث فتح مدارس . ثم شدت أزره جمعية التبشير الكنسية الإنكليزية واتسع بذلك نطاق التبشير إذ أسست مدارس ومستشفيات ضمنها مستشفى للبنات . وفتحت مدرسة داخلية للبنات فى أصفهان .

وقد قالت الجمعية إن الثورة الفارسية مهدت السبل للحصول على حرية الأديان ، إلا أن نفوذ العلماء لم يزل ثابتاً والفوضى منتشرة فى عرض البلاد حيث بدأت الأشرار والسلابون على قطع طرق المواصلات .

وأوسعت جمعية التبشير الكنسية مكاناً من تقريرها لمقدمة صغيرة استهلت بها أقوالها عن البلاد الإسلامية ، وذكرت فيها مزايا الدين الإسلامى من حيث الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ، ثم بحثت فى هذه الوحدانية فقالت : إنها تحتك من بعض الأوجه بمذهب اللاأدرية ومن وجه آخر بمذهب وحدة الوجود القائل إن الله والكون واحد ! وتقرب أيضاً من مذهب تعدد الآلهة والشرك ! حتى إن لهذه العقيدة صلة بالمذهب الحيوى القائل بوجود روح فى نفس الحيوان ووجود عامل حى فى النبات والجماد وأن هذا هو علة الأعمال الحيوية ولا تأثير للقوى الكيماوية أو المادية ، وتقول أيضاً إنه يجب أن ينكر على الإسلام سماحه لكل مسلم أن يعمل ما شاء لأنه سيكون فى آخر الأمر مظهراً للرحمة الإلهية . وقالت : إن فى الإسلام عيباً فاحشاً وهو حطه من شأن المرأة ! ودعمت ما عزته إلى الإسلام بذكر نبذة جاء فيها أن امرأتين فارسيتين سميتا ابنتيهما الأولى (غير مطلوبة) والثانية (كفى بنات) . ثم انتقلت الجمعية فى مقدمتها إلى التساؤل عما إذا كان فى الإمكان حمل المسلمين على الدخول فى حظيرة المسيح . وافتتحت باباً خاصاً أتت فيه على صنوف المجاملة التى تظهرها الحكومة الإنكليزية نحو المسلمين وهى لا تنكر أن موقف الحكومة الإنكليزية دقيق نظراً لكثرة المسلمين الموجودين تحت سيطرتها إلا أنها تنكر على بريطانيا إهمالها مجهودات المبشرين فى القطر المصرى والسودان ونيجيريا وجعلها يوم الجمعة فى دوائر الحكومة المصرية يوم بطالة لدرجة أن ذهاب الأقباط المستخدمين فى الحكومة فى الأرياف للكنيسة يوم الأحد منوط بإرادة رؤسائهم المسلمين

ثم انتقلت الجمعية فى تقريرها إلى ذكر أعمالها فى الأقطار الهندية ، وقد اتضح أ
ليست منتشرة فى عرض البلاد وطولها كما يجب رغماً عن الألفى المحطة التبشيرية التى
فيها والألف المدرسة التى يدرس بين جدرانها ٦٥ ألف تلميذ وتبلغ ميزانيتها فى هذ
البلاد ٤ ملايين من الفرنكات منها ٥٠٠ ألف فرنك تأخذها من الإيرادات المحلية
وقالت إن أعمالها وأغراضها تختلف فى هذه البلاد بحسب الأقاليم ، ولها إرساليات عديد
فى مقاطعة البنغال وأشغال مبشريها ليست مقتصرة على التبشير بين المسلمين ، وقد يتف
حدوث مشاكل بينهم وبين المسلمين كما هو الأمر فى (بيحار) حيث قام مشايخ القر
واعترضوا على المبشرين لكن هذه الأعمال لم تحل دون انتشار التوراة باللغة الأوردية
ولها أيضاً معاهد وإرساليات تبشيرية فى ولايتى (أوده) و (أكرا) وتقول : إن أو
نائب قام بأعباء التبشير فى هذه الأرجاء هو رجل هندى الأصل متنصر اسمه عبد المسي
ثم انكفأ بعد ذلك مبشروها على هذه المقاطعة ، ولها معاهد ومدارس فى (أكرا) و(الله أباد
ويدرس فى مدارسها كثير من المسلمين . ويتفق تنصير بعض أفرادها من وقت إلى آخ
إلا أنها رغماً من فتحها بعض مدارس بطلب من المسلمين ومساعداتهم فإن (اريا سماج
[illegible]
هم المبشرين بل هم دائبون على أعمالهم التبشيرية التى [illegible]
واضعين نصب أعينهم نشر تعاليمهم وأفكارهم وجل ما يطلبونه مباشرة من ال
أن يدققوا النظر فى الدين المسيحى وتعاليمه وهم ينشرون تعاليمهم التبشيرية بتلاوة
فى القرى وإلقاء المذاكرات فى المدن وينشرون المطبوعات حتى إن أهم الأش
فى الكلية الإسلامية فى (أكرا) يطالعون التوراة المكتوبة بالعربى .

وقد توفقت اللجنة التبشيرية الكنسية إلى نشر بعض مؤلفات باللغة الأوردية
طويل باسم (الهند والإسلام) . وللجمعية إرساليات تبشير فى (جابا لبار) تهتم ب
الإسلامية ولها مدرسة عالية يتردد إليها المسلمون ، وإرسالياتها التبشيرية منتشرة
مدن (بنجاب) وتبلغ ميزانيتها فى هذه الولاية ٧٥٠ ألف فرنك يضاف إليها مب
ألف فرنك إيرادات مدارسها . وحركة أعمالها التبشيرية فى هذه البلاد أحسن
غيرها نظراً لما تلقاه من المساعدة والمجاملة من المستر (لورنس) أو السير (منفوم
أو الكولونيل (مارتين) عندما تقلدوا زمام الأمور فى هذه الولاية وقد اتسع نطاق ا

ن حيث التدريس والتطبيب ونشر المطبوعات والمدارس الصناعية وترجمة الكتب لتبشيرية إلى اللغة الأوردية والسندية ، وقالت إن أسقف (لاهور) عين المحترم إحسان الله رشمندريتا على دهلى . ولمدرسة لاهور التبشيرية قسم صناعى ويدير أعمال مدرسة (بهاولبور) الواقعة فى أحد أقاليم بنجاب الإسلامية المحضة مدير وطنى وليست أعمال لتبشير فى كشمير ماشية كما يرام لأن المسلم الذى يتنصر يقع فى حيص بيص ويصبح عرضة للتعصب والامتهان . وقد اضطر المبشرون إلى إقفال مدرستهم التبشيرية فى بلوجستان وتقول الجمعية فى آخر تقريرها إن الإسلام يقاوم الأعمال التى توجه ضده من حيث أنه عقيدة ودين ، أما من جهة حركة الحضارة والمدنية فلا شك أن أعمال مبشرى جمعية التبشير الكنسية جارية على محور النشاط والتقدم .

وجاء بعد ذلك ذكر الهند الغربية فقالت الجمعية : إن هذه البلاد من الأقاليم التى اتسع فيها الاهتمام بالتبشير بين المسلمين إذ يلقى مبشروها محاضرات باللغة الإنكليزية على المسلمين الذين اقتبسوا العلوم الأوربية ويحتدم بخلالها الجدال على الأمور الدينية . كما أن المتنصر المولوى أحمد مسيح يلقى محاضرات تبشيرية فى (بومباى) وتتبادل المناقشات الدينية فى (أورنكآباد) باللغة الهندية ويقوم بعض المبشرين بالتبشير فى المحطات مثل محطة (سمند) وهى نقطة مهمة تلتقى فيها قطارات عديدة وتظهر الجمعية ارتياحها إلى علاقة المسلمين بالمبشرين فى هذه المقاطعة وإلى رواج مطبوعاتها التبشيرية . وللجمعية أيضاً معاهد تبشيرية فى الهند المتوسطة فى مثل مدينتى مدراس وحيدر أباد اختصت بالشئون الإسلامية ليس إلا .

وقد ابتدأت الجمعية بإرسال مبشريها منذ سنة ١٨١٧ إلى جزيرة سيلان التى اتسعت أعمالهم أكثر من ٢٠٠ معهد و ٣٢٦ مدرسة يدرس فيها ٢٣ ألف تلميذ وجل ما يصبو إليه المبشرون هو التحكك بالمسلمين خصوصاً القاطنين منهم فى مقاطعة (كندى) وما جاورها لأن هؤلاء الأهالى يتظاهرون بالعداء للمبشرين ولا يدعون أولادهم يذهبون إلا إلى المدارس الخاصة التى أسسوها لأنفسهم .

ولم تذكر الجمعية شيئاً عن المسلمين فى الصين إلا أن مبشريها بلا شك يعلقون على المسئلة الإسلامية أهمية كما يتضح من مؤلف القسيس (مارشال برومهال) بخصوص الإسلام فى الصين ، ولهذه الجمعية فى بلاد الصين ٣٠٠ مدرسة ويبلغ ميزانية مبشريها ١,٣٠٠,٠٠٠ فرنك .

أما جمعية تبشير التوراة الطبية فتختص بالتبشير بين النساء المسلمات والهنديات ويقوم مبشروها ومبشراتها بأكثر من ٦٠٠٠ زيارة فى البيوت وتعنى بتعليم ٦٠٠٠ شخص وتعالج ٣٢ ألف امرأة وحسب هذه الجمعية أن تظهر احتياجها لتمطر عليها الدراهم من كل حدب .

انتقلت بعد ذلك المجلة إلى الخوض فى إرساليات التبشير الأمريكية فاستهلت البحث بالجمعية التبشيرية الأمريكية التى يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٠ وقد اتسعت أعمال هذه الجمعية اتساعاً هائلا حتى إنه بلغ عدد اللجان التى شكلتها من الوطنيين فى مناطق التبشير ٥٦٨ اشترك فيها ٧٣ ألف وطنى يدفعون إلى هذه الجمعية مبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ فرنك للقيام بنفقات الكنائس والمعاهد وتربية أولادهم ويبلغ عدد التلاميذ الذين يدرسون فى مدارسها ٧٠,٠٠٠ تلميذ ، كما أن لديها كثيراً من النساء المبشرات يزداد عددهن من يوم إلى آخر . ومن جملة المبادئ والأصول التى يروجها مبشرو هذه الجمعية أنهم عندما يهبطون إحدى المدن لأجل التبشير يتركون الحرية التامة للذين يدخلون فى مذهبهم فى تأسيس وتشكيل كنائس خاصة يدير الوطنيون أعمالها حتى يتسنى للوطنيين الاستقلال فى أعمالهم فإذا اتفق أن المبشرين طردوا من البلاد . وازداد عدد المدارس العالية والابتدائية فى بلاد الدولة العثمانية والهند .

ويهتم ذوو الشأن فى هذه الجمعية بإيجاد مبلغ مليونى دولار ترصد إيراداتها لسد نفقات مدارس التعليم ومدارس التبشير . وتهتم هذه الجمعية فى أمر التبشير فى البلاد العثمانية خصوصاً سوريا وفلسطين لأنها لا ترغب فى ترك البلاد التى كانت مهبطاً للتوراة تحت سيطرة الإسلام .

إن الكنائس المسيحية الشرقية الخاملة فى هذه البلاد لها أربعة فروع : الأول فى البلاد الأوربية العثمانية ومركزها (سافوكو) فى بلغاريا ، والثانى فى آسيا الصغرى ومركزه (الآستانة) ، والثالث فى سوريا وله مركزان فى (مرعش) و (عينتان) ، والرابع فى الكردستان ومركزه (خربوط) وجل ما يتوخاه مبشرو هذه الجمعية استمالة الكنائس الشرقية وتنصير المسلمين بالتدريج وبالوسائط الفكرية والتعليمية ، لأنهم يعلمون يقيناً أنه يتعذر تنصيرهم مباشرة .

وأشارت هذه المجلة إلى التعضيد الذى يلاقيه المبشرون الأميركيون من أغنياء أممهم ومتمولى بلادهم الذين يمدونهم بالأموال الطائلة ، ثم أتت على ذكر حادثة حصلت إبان

انعقاد المؤتمر التبشيرى المختلط فى (روشتر) إذ انبرى المستر (الفريد ميرلنغ) الصيرفى والمثرى الشهير فى نيويورك وتقدم إلى الحاضرين قائلا : « إن لدى أمراً أريد أن أبسطه عليكم وهو أننا أصدقاء قديمون اجتمعنا هنا ورأينا أننا كنا فى ضلالة لأن السعى الوحيد وراء اقتناء الأصفر الرنان الذى لا يأتى بفائدة أدبية ولذلك يجب أن نعمل مجهوداتنا للتأثير على رجال الكنيسة وعلى الأغنياء الذين يتمتع كل منهم بشىء عن ثروة البلاد التى تربو على ١٠٧ مليارات ريثما يستعملوا ثروتهم لأغراض سامية نبيلة لأن العالم كله فى حاجة شديدة ليسوع المسيح . ولذا فإننا نقول للقائمين بأعمال لجان التبشير . سندر عليكم أموالنا بمزيد الدقة فهل لكم أن تنضموا إلينا وأنتم فى شرخ الشباب ؟ ضحوا حياتكم نظير ما نبذله لكم من الأموال ، لأننا نحن الآن فى سن الشيخوخة وأصبحت أيامنا معدودة . هل لكم أن تقفوا حياتكم على خدمة يسوع المسيح ؟ نحن نريد جمعية تبشيرية لا يعطلها على أعمالها غير الموت ولنبرم إذن هذا العقد بيننا »

ثم اجتمع متمولوا أمريكا وأغنياؤها لأول مرة سنة ١٩٠٦ بدعوة من أحد أغنياء التجار فى واشنطون وهو الذى انبهر بما قام به شبان التبشير فى مؤتمرهم فى (ناشغيل) سنة ١٩٠٦ فقرر هؤلاء المتمولون تأليف لجنة منهم للمذاكرة مع رؤساء كل إرساليات التبشير الأمريكية فى الأمور الآتية :

١ ـــ بذل المجهودات لأجل تربية المبشرين العلمانيين .

٢ ـــ البحث وإعمال الفكرة لرسم خطة تنصير العالم قاطبة فى مدة ٢٥ سنة !

٣ ـــ تشكيل لجنة هامة مؤلفة من ٦٠ عضواً أو أكثر بأقرب ما يمكن لكى تتعهد وتزور مراكز إرساليات التبشير وتعمل التقارير عنها .

وقد كان من نتيجة هذا الاجتماع الذى أقامه المتمولون الأمريكيون رواج فكرة التبشير وتأسيس لجان لهذا الغرض فى كل أرجاء الولايات المتحدة ، وصار يرجع أمرها إلى لجنة مركزية مؤلفة من مائة شخص منتشرين فى الولايات المتحدة وبلاد كندا . ثم أقيمت اجتماعات صغيرة فى ١٠١ مدينة من أمهات مدن الولايات المتحدة ، وكذا عقد على أثرها مؤتمر تبشيرى وطنى فى كندا ، ومؤتمر آخر فى شيكاغو .

وهذه المجتمعات والمؤتمرات تقام فى أفخم الفنادق فتعمل لها الولائم إبان انعقادها ويحضرها رهط من المثرين الأمريكيين ويستعين كبار المبشرين بتلاوة الإحصائيات

والتقريرات المالية ليتسنى لهم استمالة الأغنياء واستنداء أكفهم ، ومن ذلك أن رئيس حركة التبشير العلمانى تلا الإحصاء الآتى فقال : لوفرضنا أن عشرة ملايين من المسيحيين تعهد كل واحد منهم أن يدفع عشرة ريالات فى السنة فى سبيل التبشير ، وتعهد مليون من الأغنياء بأن يدفع كل واحد منهم ٢٠٠ ريال فى السنة لهذا الغرض ، لكانت هذه المبالغ تسد نفقات كل جمعيات إرساليات التبشير ، ثم لو رأى البرتستانت الأمريكيون أن من الواجب عليهم أن ينصروا مائة مليون من غير المسيحيين لاحتاجوا إلى ٤,٠٠٠ مبشر و ٢٠,٠٠٠ شخص من الوطنيين لمساعدتهم ، هذا إذا فرضنا أن كل ٢٥ ألفاً من غير المسيحيين يفتقرون إلى مبشر أمريكى واحد وخمسة من الوطنيين لمساعدته . وكل ما يتطلبه هؤلاء المبشرون من النفقات يقدر بأربعة وعشرين مليون ريال أعنى يمكن الحصول عليه إذا اكتتب كل شخص من التابعين للكنيسة بمبلغ سنوى لا يتجاوز عشرين ريالا . وقد اعترض أحد المبشرين الألمانيين على الوسائل التى يستعين بها المبشرون الأمريكيون ، فلم يحفلوا باعتراضه بل أيدوا أعمالهم وبرهنوا على أن هذه الوسائل عززت إيراداتهم التى زادت سنة ١٩٠٩ ما يقرب من ثلاثة ملايين ريال .

وقد حذت إرساليات التبشير النسائية حذوهم وطافت البلاد تستدر الأموال وأقامت الحفلات الشائقة وتتوخى هذه الإرساليات النسائية تحسين أحوال المرأة الشرقية والتحبب إليها . وقد كانت من نتيجة الأعمال التى قامت بها أن إيرادات هذه الجمعيات تعززت بمبلغ مليون ريال أمريكى .

وقد أقام المبشرون الأمريكيون معرضاً عاماً لإرساليات التبشير فى (بوسطون) فى باحة الماكنات الواسعة افتتحه المستر (تفت) رئيس الجمهورية فى شهر إبريل سنة ١٩١١ ، واشترك فى ترتيب هذا المعرض ٤٠٠ رئيس من رؤساء إرساليات التبشير فعرضت فيه نماذج محصولات البلاد التى يرتادها المبشرون مع صور محطات التبشير المنتشرة وصور متحركة تمثل أعمال المبشرين . وحاصل القول أنهم جمعوا فى المعرض ملاهى عديدة وجعلوا أجرة الدخول نصف ريال أمريكى وأخذت بلدان أخرى أيضاً تعد المعدات لفتح معارض تبشيرية .

ثم جاء بعد ذلك ذكر إرساليات التبشير الألمانية التى امتازت فيها جمعية إرساليات التبشير الشرقية الألمانية . وقد كانت هذه الجمعية التبشيرية جمعية صغيرة للصلاة والتوسل

جل تأسيس إرساليات تبشير فى المشرق وذلك عقب مذابح الأرمن سنة ١٨٩٥ أسسها
سيس (لبسيوس) ثم دخلت هذه الجمعية فى دورها العملى إذ نشر مؤسسها منشوراً
اسياً قال فيه :

« إن الشرق يدعو الغرب لشد أزره فجعل ما نتوخاه أن نحرر الشرق بواسطة
سيد المسيح ونخلص الكنائس المسيحية من ظلم الإسلام ، ونفتح طريقاً للسيد المسيح
إرجاع هذه الكنائس سيرتها الأولى . هلموا إلى قلب العالم الإسلامى ، لنحرر فوز
صليب على الهلال » .

وطفق بعد ذلك القسيس (لبسيوس) يطوف فى بلاد الأناضول وسوريا وينشر
اريره عن حقيقة حال الأرمن . وتشكلت لجان ألمانية لمساعدتهم . وأسس هو بعض
طات تبشيرية وانتهز فرصة انتصار اليابانيين فى حربهم الأخيرة وذهب إلى روسيا
جل تنصير الروسيين الذين يكرعون من المياه القذرة فى الكنيسة الروسية ، وقد قال
ذا القسيس : إن الاهتمام فى صيانة الكنيسة الشرقية لا يكفى للنهوض بالشرق بل يجب
ناضلة ومناوأة الإسلام عدو المسيحيين الشرقيين القديم .

وعلى أثر ذلك تحولت جمعية إسعافات الأرمن إلى جمعية التبشير الألمانيةفى سنة
١٩٠ وقال (لبسيوس) إنه لا يكفى المناضلة والمناوأة ، بل يجب شحذ السلاح .

قد أدرك مبشرو هذه الجمعية مغزى أقوال رئيسهم وفهموا أن مناضلة الإسلام
صورة جدية حقيقية تفتقر إلى الوقوف عليه تماماً ولذلك باشروا طبع المؤلفات المتعلقة
الإسلام وأصوله ونشرها بين العالم المسيحى ورأوا من الواجب الاقتداء بإرساليات
لتبشير الأخرى وذلك بترجمة الكتب الدينية إلى اللغات الإسلامية وتأسيس مدارس
لمبشرين واتخاذ التدابير لصيانة المسلمين المتنصرين من تعدى بنى جلدتهم ، وقد تمكنت
هذه الجمعية من إخراج خطتها إلى حيز الفعل بفضل القسيس المولا (أفاتارنيان) (١)
الذى اعتنق النصرانية بعد أن قرأ الإنجيل ثم قام بالتبشير فى البلاد البلغارية . وأنشأ مجلة
(شاهد الحقائق) فأفعمها بالمقالات التبشيرية ونشر مجلة سماها (كونش) أى الشمس
ويعنى بهذا الاسم أنه يرغب فى بث الأفكار الدينية المسيحية بين المسلمين وقد انتشرت
هذه المجلة فى البلاد العثمانية والبلغارية وكانت تلاقى فى بعض الأوقات معارضات شديدة

---

(١) انظر صفحة ٨٩

ومما قاله رئيس إرساليات التبشير الألمانية فى تقريره عن أعمالها : إن نار الكفاح
بين الصليب والهلال لا تتأجج فى البلاد النائية ولا فى مستعمراتنا فى آسيا أو أفريقية ،
بل ستكون فى المراكز التى يستمد الإسلام منها قوته وينتشر سواء أكان فى أفريقية
أم فى آسيا ، وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجوهها نحو الآستانة عاصمة الخلافة
فإن كل المجهودات التى نبذلها لا تأتى بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها ويجب
أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه
العاصمة وهى قلب العالم الإسلامى .

وقد نشرت مجلة الشرق المسيحى والتبشير الإسلامى الألمانية التى هى لسان حال
جمعية إرساليات التبشير الألمانية مقالة بخصوص تعيين الدكتور (ريتشر) رئيساً لهذه
الجمعية ومما قالته : إن أهمية أعمال التبشير بين المسلمين تزداد يوماً بعد يوم وتستغرق
أكثر مجهودات ووسائل المبشرين الألمانيين حتى إن الجمعية اضطرت عقب تأسيس
المدرسة التبشيرية لدرس الإسلام وأصوله ومبادئه فى (بوتسدام) أن تترك الحرية
التامة لرئيسها ريثما يتخصص للتبشير بين المسلمين .

وقد فتحت هذه المدرسة سنة ١٩٠٩ والقصد منها تربية المبشرين واطلاعهم على
الأمور الإسلامية والمؤلفات الدينية لأنه رغماً من اطلاع المستشرقين الألمانيين وطول
باعهم فى المؤلفات الإسلامية فإن التعليم والعقائد التى تلقى فى المساجد والمعاهد الإسلامية
لم تزل خافية علينا . وقد نفح الله الجمعية التبشيرية بأستاذين علامتين اعتنقا الدين المسيحى
يقومان بالتدريس فى المدرسة وهما بمثابة سيل طام صب على الدين المسيحى الحى
القوتين الإسلاميتين اللتين هما الشريعة والصوفية واسم الأستاذ الأول المدرس نسيمى
أفندى الذى ينتمى إلى عائلة إسلامية عريقة سبق لأحد أعضائها أن تقلد منصب المشيخة
الإسلامية . واسم الثانى الشيخ أحمد الكشاف شيخ طريقة صوفية .

وانضم إليها القسيس (أفاتارنيان) الآنف الذكر الذى كان اسمه ملا محمد شكرى
أفندى وهؤلاء الثلاثة يدرسون التفسير والتعاليم الصوفية واللغة العربية والفارسية والتركية
ودروساً تاريخية دينية إسلامية لتلاميذ مدرسة (بوتسدام) وتبلغ ميزانية جمعية إرساليات
التبشير الألمانية ١٨٦ ألف مارك .

مقاصد المبشرين وآمالهم في المستقبل

لاتكتفى إرساليات التبشير بالنظامات والأوضاع التى أخرجتها إلى حيز الفعل بمزيد الدقة والنشاط وإجهادها النفس لتوحيد أصولها وأوجهها بل هى تعد المعدات لتوسيع دائرة أعمالها ريثما تشن الغارة على الأراضى الإسلامية المقفلة فى وجهها أو تتحفز لمنازعة الإسلام على البلاد التى ترسخ قدمه فيها .

وقد ظهر فى عالم المطبوعات مؤلفان يتعلقان بالغارات التبشيرية فى المستقبل والحظ الذى سيكون للشبيبة المتنورة فيه : أحدهما للقسيس زويمر الذى يوجه تأليفه إلى الطلبة ويذكر لهم الأقاليم الخالية من المبشرين ، والآخر بقلم المستر (غردنر) السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين بخصوص الأعمال التبشيرية فى أفريقية الجنوبية . وقد كانت فكرة هذين المؤلفين منطبقة على قرار مؤتمر (أدنبورغ) التبشيرى الذى جاء فيه : إن القسم الأعظم من العالم الإسلامى خال من التبشير المسيحى وأشير إلى الأقاليم الإسلامية الخالية من التبشير فى أفريقية وآسيا وإلى ضرورة اكتساحها .

وقد أشار زويمر فى القسم الأول من كتابه إلى البلاد الإسلامية الخالية من المبشرين مثل الأفغانستان وعدد سكانها ٤ ملايين مسلم والعشرين مليوناً من المسلمين القاطنين فى بخارى وخيوه وتركستان الروسية وكلها لا يوجد فيها مبشر بروتستانتى واحد .

وهناك بلاد أخرى لا تخلو من المبشرين إلا أن مجهوداتهم غير كافية لقضاء لبانتهم. قال : إن أهالى تركستان الصينية يظهرون مزيد الحفاوة بالمبشرين وهم أقل تعصباً من سكان البلاد الإسلامية الأخرى ، ولفت الأنظار إلى أنه لا يشغل الطريق التى تصل ما بين الهند والتركستان الروسية وتجتاز جبل (قره قروم) إلا بعض مبشرين متنقلين من جمعية التوراة التبشيرية مع أن هذه السكة يمر بها المسلمون الصينيون الذين يتوجهون إلى مكة لأداء فريضة الحج . أما الوثنيون فى سيبريا فإنهم يميلون بسهولة إلى اعتناق الدين الإسلامى ولا يوجد بين مسلمى الهند الصينية الفرنساوية الذين يبلغون ٢٣٢,٠٠٠ سوى إرسالية تبشيرية بروتستانية واحدة .

ثم جاء بعد ذلك ذكر البلاد العربية فقال :

إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية . أما المبشرون القاطنون حول عدن والشاطئ الشرقى منها فلا يشغلون إلا أربع نقط تبشيرية ووجودهم لم يمنع جزيرة سقطرة التى كانت فى سالف أيامها مسيحية أن تصبح إسلامية محضة .

والمؤلف يعلل النفس بأن السكة الحديدية الحجازية التى تربط دمشق بمكة والمدينة ستمهد للمبشرين سبيل نشر الإنجيل باللغة العربية التى هى أكثر اللغات الإسلامية انتشاراً . والقسم الوحيد من البلاد العربية التى تتمخض به حركة تبشيرية واقعية هو القسم الواقع بين ولايتى بغداد والبصرة إذ توجد فيه محطتان مهمتان للتبشير وثلاث محطات مساعدة لها .

وقبل أن ينتهى المؤلف من البحث فى القارة الآسيوية أشار إلى جزر ملازيا وتساءل عما إذا كانت هذه الجزر تبقى فى قبضة الإسلام أم لا ؟ وقال : إنه دخل فى حظيرة المسيحية ٤٧,٧٢٩ شخصاً من الباتاكس القاطنين فى غرب (صومترا) إلا أن الإسلام يتوطد فى جزيرة بورنيو ويتوغل فى كل الجزر الأخرى عدا (بالى) وينتشر فى قسم من (لمبوك) ، والمبشرون كثيرون فى سنغافورة وفى الممالك الملازمة المستقلة ، إلا أنهم يتحاشون التحكك بالإسلام مع أنهم لا يلاقون أمامهم الصعاب التى يلاقيها المبشرون المنتشرون فى البلاد العربية والفارسية .

والمبشرون فى الصين والهند قليلون جداً وهم لا يهتمون بالمسلمين .

ثم انتقل زويمر إلى قارة أفريقية فقال : إنه يوجد فى أواسط أفريقية مجال فسيح للتبشير وأقاليم واسعة الأرجاء واقعة على مسافة مائة ميل من الشاطئ يربو عدد سكانها على الخمسين مليوناً لم تنتشر فيها الآيات الإنجيلية ، والإسلام يتقدم وينتشر بهدوء ونظام فى أفريقية ونيجريا بين القبائل الوثنية . لأن الحكومة الإنكليزية تمنع تبشير المسلمين ! وتحظر على المبشرين المسيحيين ولوج الأقاليم التى يتوغل فيها الإسلام !

أما طرابلس الغرب وتونس والجزائر فليس فيهن سوى أربع محطات تبشيرية !

وقد خص زويمر القسم الثانى من مؤلفه بالبحث فى الأمور الاجتماعية التى تتعلق بالأعمال التبشيرية فقال : إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة كانت لاهوتية دينية محضة ، أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية . وكان ينظر فى سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حرباً صليبية ترمى

إلى التنصير فقط فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعى وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية لأن احتلال الأقاليم الخالية من المبشرين ناشىء عن أحوال هذه البلاد الاجتماعية المحرومة من يسوع المسيح والتى هى بالتالى خالية من كل بارقة أمل .

وأتى القسيس زويمر على ذكر الأوصاب الاجتماعية التى تلم بالشعوب الإسلامية وأشار إلى المتاجرة بالرقيق والقسوة الملازمة لهذه التجارة ، وقال : إنها ليست فى خبر كان بل ما زالت منتشرة فى البلاد العربية والأفريقية حيث توجد أسواق لهذا الغرض تحميها الشرائع الإسلامية القرآنية بالرغم من الأوروبيين .

ثم ذكر بعد ذلك أسباب الانحطاط الاقتصادى فى شبه جزيرة العرب ومنغولية والأفغانستان والغزوات والغارات التى يشتعل لظاها بين القبائل العربية فى الصومال وأفريقية الوثنية والفقر المدقع المنتشر فى بعض الجهات . وقال : إن تمادى الاعتقاد بالتمائم وتأثيرها يؤخر أحوال الشعوب الإسلامية ويزيدها شقاء . وختم هذا الباب من كتابه بقوله : إن الخطة الفاسدة الخطرة التى تقضى ببث مبادىء المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانياً عقيمة لا فائدة ترجى منها لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية لا تحمد مغبته بل تنجم عنه مساوىء كثيرة تفوق المساوىء التى كانت قبلا . وأشار فى القسم الأخير إلى المزايا والسجايا العقلية التى يجب على المبشرين أن يتذرعوا بها ، وقال : إن المشايخ والرؤساء الروحيين (فى بلوجستان) والأفغانستان غير قائمين بوظائفهم وهم على شاكلة الرؤساء الروحيين المنتمين للأديان غير المسيحية .

ثم بين أهمية الأقاليم الخالية من المبشرين وأفاض فى شرح الوسائل للتحكك بالشعوب غير المسيحية وجلبها إلى حظيرة المسيح وتناقش طويلا فى الخطط التى يجدر اتباعها . واستنهض همة المبشرين بخطاب وجيز اختتم به كتابه الذى سماه (مجد المحال) .

أما كتاب المستر (غردنر) فيقع فى ٢١٢ صفحة مزيناً بصور شمسية للمساجد والمعاهد الإسلامية المنتشرة فى جنوب أفريقية ومدغسقر وضعها السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين عمداً ليلفت الأنظار إلى التقدم السريع الذى يتمخض به الإسلام فى هذه الأقاليم نظراً لأمور سياسية واقتصادية وهذا السفر أشبه باستصراخ وإعلان حرب يحوى كيفية وأدوار النزال الذى ستدور رحاه بين الإسلام وحاملى لواء التنصير فى أفريقية الجنوبية .

وقد تساءل المؤلف عن إمكان تنصير سكان البلاد الأصليين وانتقد أقوال الدكتور

(رهربك) القائل : إنه يتعذر على الوطنى أن يتأثر بنفوذ المسيحية ، هذه العقيدة الخاصة بالأجناس الراقية واستصوب أن يعتبروا فى بادىء الأمر داخلين تحت حماية المسيحية ! وأتى على براهين تنافى أقوال الدكتور وأشار إلى المنصرين فى كوريا وأواسط أفريقية وقال : إنه فى الإمكان تنصير الوطنيين ببث مبادىء المذهب البروتستانى . ثم قال : إن أفريقية الجنوبية تتمخض بحركة دينية فيخلق بالمبشرين أن يسرعوا بأعمالهم ويبذلوا قصارى جهدهم فى هذا الأمر إذا كانوا لا يودون أن ينتشر الإسلام فى هذه البلاد وترسخ أقدامه .

وأشار إلى قول (هرتزل) الذى أفاض فى مزايا ومحاسن السكة الحديدية التى تربط القاهرة ببلاد الكاب وقال : غير أن هذا الخط الحديدى يجعل القاهرة محجاً للمسلمين المنتشرين من جنوب أفريقية إلى شمالها فيجدر نشر التبشير حينئذ من الكاب إلى القاهرة

ويقول : إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقية اتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام ، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقية .

وأشار إلى جمعية النهضة السياسية الأفريقية التى يرأسها الدكتور عبد الرحمن وهذه الجمعية تضم إليها كثيراً من الأجناس والعناصر وهى برهان على النهضة التى دبت روحها بين الوطنيين ولهذه الجمعية جريدة هى لسان حالها تنشر الإنكليزية والهولندية وهى تبحث فى صوالح الوطنيين وتحمل الحملات الشديدة فى بعض الأوقات على الكنيسة الهولندية وعلى الحكومة . وقد قالت منذ مدة لقد أزف الوقت الذى يجدر بالوطنيين أن يقولوا للجنس الأبيض إن الدين المسيحى الذى تفتخرون به يباين وينافى تعاليم المسيح . وتهتم هذه الجريدة بنفخ روح النشاط بين السود لتستميلهم إلى اقتناء العقارات والاعتماد على أنفسهم ، فعلى المبشرين أن يحولوا أنظارهم نحو هذه الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية . وقد أفاض صاحب التأليف فى وصف فرق إرساليات التبشير المنتشرة فى أفريقية الجنوبية وكيفية اتفاقها وأصول تعاليمها والوسائل التى يجدر اتخاذها للم شعث إرساليات التبشير وجعلها كتلة واحدة أمام البحر الإسلامى الطامى .

وقال : إن حظ هذه البلاد من المبشرين أكثر بكثير من حظ البلاد الأخرى لأن نصف المبشرين الذين وطئوا أفريقية للتبشير بين المائة والخمسين مليوناً من الوثنيين موجودون فى أفريقية الجنوبية ليبشروا بين ظهرانى ستة ملايين من السكان فيكون حظ كل مبشر ١,٣٠٠ من الوطنيين بينما حظ المبشر فى الجهات الأخرى يبلغ ٢١,٤٠٠ وطنى .

واختتم كتابه بذكر أسماء جمعيات التبشير ولجانها وما أسسته من المعاهد .

ملحق

١ — نجوى إلى القراء

(افتتاحية العدد ٦٦٦٣ من المؤيد بقلم السيد محب الدين الخطيب)

٢ — حول الغارة على العالم الاسلامى

(ترجمة مقالة انتقادية أنشأتها مجلة العالم الإسلامى الفرنسية)

٣ — الجواب على مقالة المجلة الفرنسية

(افتتاحية العدد ٦٧٧٠ من المؤيد بقلم السيد محب الدين الخطيب)

٤ — كلمة فى أهمية هذا الكتاب

(بقلم كاتب الشرق الكبير الأمير شكيب أرسلان)

نجوى إلى القراء

بمناسبة مقالات الغارة على العالم الإسلامى

افتتاحية العدد ٦٦٦٣ من (المؤيد) الصادر يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ١٣٣٠ (٢٦ أبريل ١٩١٢)

أخبرنى فى الأمس زميل لى فى قلم التحرير أن فريقاً من الناس ساءهم أن ينشر المؤيد مقالات (**الغارة على العالم الإسلامى**) بدون أن يعلق عليها ، وأن بعضهم يرى عدم تعليق الصحف العربية على المقالات التى ترد عليها من الخارج أو التى تترجم فيها عن اللغات يعد موافقة من هذه الصحف على ما تضمنته تلك المقالات .

وسواء أصاب هذا البعض فيما يرى أو أخطأ فإن تطبيق ذلك على مقالات « الغارة على العالم الإسلامى » التى تترجم فى المؤيد هو من قبيل وضع الشىء فى غير محله ، لأن المؤيد لما بدأ بنشر هذه المقالات مهد لها بتوطئة أبان فيها عن قصده من نشرها ، وذكر لقرائه شيئاً عن المجلة التى كتبت تلك المقالات ، والجمعية التى تنشر المجلة نفسها ، وحالتيها قبل حوادث مراكش وفارس وطرابلس الغرب وبعدها .

ذلك غاية ما كان يقال توطئة لنشرها فى المؤيد . وأما التعليق عليها بكلمة اعتبار بما ورد فيها فذلك مالا يحسن إيراده إلا بعد إتمام نشر المقالات ليكون القول فيها أشمل والكلام عليها أعم .

على أن مجرد نشر هذه المقالات كان كافياً فى تنبيه القراء إلى مكان العبرة منها والتوسل إلى مقابلتها بمثل الوسائل الواردة فيها ، لأنها ليست من المباحث العلمية أو الجدلية التى تقتضى رداً ومناقشة ، ولو كانت كذلك لكان رجال الدين وكتاب المجلات الدينية أولى بمناقشتها والرد عليها بل هى تاريخ وأنباء عن أعمال جرت من قبل وتجرى الآن وستجرى من بعد ، والأعمال لا تناقش إلا بأعمال مثلها . وكنا نظن أنه لا تنشر بضع مقالات منها حتى يذهب أهل الغيرة لزيارة مدرسة « دار الدعوة والإرشاد [1] » التى هى بنت شهر أو شهرين وفيها المصرى والمراكشى والجاوى والقفقاسى فيطلعوا على مبلغ نجاحها ويتطوعوا فى تعضيدها وتثبيتها ويمدوها بالرأى والمال وكل ما يعد قوة ، ليتسع نطاقها ويكمل نقصها .

---

(١) هذه الدار كانت تضم نخبة من رجالات الإسلام ، وكان الغرض من إنشائها نشر الدعوة الصحيحة وإعداد دعاة مرشدين همهم تفهيم جمهور المسلمين حقيقة دعوتهم وجوهرها .

ومن الغريب أنه بينما ينتقد علينا بعض قرائنا الاقتصار على نشر هذه المقالات من غير تعليق عليها ولوكان وقت التعليق لم يحن بعد نرى بعض الجرائد الإفرنجية المتعصبة فى القطر المصرى تتقول علينا بعض الأقاويل وتنسب إلينا ما لم يصدر منا وتزعم أننا نعلق على هذه المقالات بما يثير الضغائن ، مع أننا لم نعلق بعد شيئاً بهذه المناسبة ، فمن ذلك أن جريدة « لابورص إجبسيان » التى تصدر فى الإسكندرية كتبت مقالة قالت فيها : « إن المؤيد يترجم مقالات (مجلة العالم الإسلامى) الفرنسية ، ويلحقها بتعليقات شخصية يصوغها بقلم تظهر به كأنها لا غبار عليها ، والذى يعرف مبدأ المؤيد وسجية قرائه يرى أنه إنما يتخذ من هذه المقالات وسيلة لتغذيتهم بالضغائن . فما قاله المؤيد : أن الغربى يجيء إلى هذه البلاد بوسيلة الاتجار ودعوى نشر حسنات الحضارة الكاذبة ، مع أنه فى الحقيقة لا يقصد غير مناوأة الإسلام الذى فشلت الحروب الصليبية فى مناوأته»

هذا بعض ما قالته (لابورص إجبسيان) فهى كذبت علينا أولا بأننا نعلق على هذه المقالات بتعليقات شخصية ، وافترت علينا ثانياً بأن عزت إلينا قولا ليس لنا ، بل هو لرجل أوربى مبشر ، ولو أن كاتب مقالة البورص — أو الذى يترجم له عن المؤيد — يعرف العربية التى هى لغة البلاد لكان أدرك أن المقالات برمتها ملخصة عن مجلة العالم الإسلامى ، وتلك الجملة نفسها نقلتها هذه المجلة عن كتاب (ملخص تاريخ التبشير) الذى ألفه المستر (أدوين بلس) ونص الجملة هو قوله :

« إن ريمون لول الأسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها (١) » .

وكأنما البورص إجبسيان السكندرية لم يكفها ذلك حتى زادت عليه لومها للصحف الإسلامية لأنها تترجم لقرائها المسلمين ما تكتبه الصحف الأوربية عنهم وعن حالهم ومستقبلهم حتى لو اقتصرت صحفنا على الترجمة فقط . ووجهت البورص انتقادها إلى صاحب السعادة السيد على يوسف وإلى المرحوم مصطفى كامل باشا لأنهما كانا يفعلان ذلك .

واتهمت صحفنا أيضاً بأنها تعنون هذه المقالات بعناوين ذات شأن ، وقالت : إن عنوان « الغارة على العالم الإسلامى » من هذا القبيل . على أن البورص لو راجعت الأصل الفرنسى أو لو قرأت توطئة المؤيد لكانت تعلم أن العنوان العربى هو ترجمة العنوان

(١) انظر ص ١٢

الفرنسى وكل ما فعله المؤيد هو أنه أطلع قراءه على أعمال تجرى فى بلادهم وهى ذات علاقة بهم . ولم يحدّث القراء بهذه الأعمال من عنده مباشرة بل نقلها لهم عن مصادرها الأصلية .

وبعد ، فإن إغفال ترجمة هذه المقالات لا يحق لشرقى ولا لإفرنجى أن يطالبنا به ما دام متعلقاً بنا وبأمتنا وبلادنا مباشرة . وإذا كان من الجائز لمجلة فرنسية أن تنشر ذلك ، فمن الواجب على جريدة عربية أن تترجمه .

وهذه الحقيقة قد أدركها الكثيرون فى مصر وفى غير مصر حتى إننا بعد كتابة ما تقدم جاءنا بريد سوريا بجريدة الاتحاد العثمانى مصدرة بالمقالة الأولى من مقالات الغارة على العالم الإسلامى نقلا عن المؤيد ، ومما قالته تلك الجريدة :

« إننا رأينا السكوت عن نشر هذه المقالة غشاً لا يجيزه لنا الدين ولا الوطنية بوجه من الوجوه ، فإشفاقاً على عواطف القراء الذين ما اعتادوا حتى اليوم سماع أمثال هذه النغمات المدهشة رأينا أن يكون نشرها مدعاة لتفكر عقلاء المسلمين وتدبرهم فى ملاقاة هذا الخطر المحدق بهم ، وأن لا يكون حظ هذا الفصل الإغفال والاستهانة بل القيام بما يأمر به الدين من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم وضع أبناء المسلمين فى المدارس الأجنبية إلا بعد أن يتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم » .

محب الدين الخطيب

حول « الغارة على العالم الإسلامى »

افتتاحية العدد ٦٧٦٨ من (المؤيد) الصادر يوم الأربعاء ١٥ رمضان ١٣٣٠

جاءنا العدد الأخير من مجلة العالم الإسلامى الفرنسية وفيه انتقاد علينا وعلى جرائد ومجلات إسلامية أخرى وهذه ترجمة الانتقاد :

هل تتكرم رصيفاتنا : المؤيد والمنار والاتحاد العثمانى وصحف إسلامية أخرى أن وضح لنا جنسية وأصل المحرر الأوروبى الذى أتى بالأقوال التى عزتها هذه الصحف الى مجلة العالم الإسلامى ؟

كتبت جريدة المؤيد فى ٨ أبريل سنة ١٩١٢ تقول [١] :

« فى فرنسا (لجنة Comité) اسمها الإرسالية العلمية المغربية مؤلفة من المستشرقين درسوا الكتب الإسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية وغيرها من لغات المسلمين ، خدمة لجامعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية » اه

ولكن من الخطأ الواضح أن يقال عن الإرسالية العلمية المراكشية أنها (لجنة Coimte) وإذا كان العلامة مدير المؤيد يتتبع الكتب فلا يصعب عليه أن يقف على أصل ما جاء به خصوصاً وأن هذه الإرسالية العلمية لا تشبه اللجنة بوجه من الوجوه وليس من الصواب أن يقال عنها : إن لها مقاصد سياسية أو دينية أو اقتصادية ، وكل ما فى الأمر أن عملها نتيجة مساعى بعض الخاصة ، وترجع هذه المساعى إلى سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ وقد أعطيت الإرسالية منذ ذلك الحين مبلغاً صغيراً من المال لإدارة شئونها . اما الآراء التى تنشرها هذه الإرسالية فهى خاصة بها ولا شأن للحكومة فيها وعلى هذا فإن ما قالته جريدة المؤيد بهذا الشأن مخالف للواقع .

وتقول جريدة المؤيد [١] إن هذه اللجنة أخذت قبل خمس سنوات تنشر فى باريس مجلة كبرى مصورة تصدر فى كل شهر اسمها (مجلة العالم الإسلامى) ولقد كانت هذه المجلة قبل الآن ظاهرة بمظهر علمى تكون الغايات السياسية فيها بالدرجة الثانية إلى أن تم لفرنسا احتلال مراكش أولا ثم دخلت فارس فى طورها الأخير وحل بعد ذلك ما حل بطرابلس فظهرت هذه المجلة كغيرها بمظهرها الحقيقى الذى تكون فيه الدروس العلمية واسطة لغايات سياسية ودينية . اه

(١) انظر صفحة ٥

وقد حذت مجلة المنار الدينية التى تصدر فى مصر حذو جريدة المؤيد فقالت فى الصفحة ٢٥٩ من المجلد الخامس عشر ما يلى : « وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسى الإنكليزى واعتداء إيطاليا على طرابلس الغرب ظهرت — أى مجلة العالم الإسلامى — بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من التوسل بالعلم إلى المقاصد السياسية والدينية . اه

والقول بأن لمجلة العالم الإسلامى غاية دينية من شأنه أن يبعث السرور والفرح فى قلوب قرائها الأوروبيين الذين لا يدركون وجود هذه الغاية إلا بتفسير وتأويل .

اهتمت جريدة المؤيد ومجلة المنار وغيرهما اهتماماً زائداً بعدد مجلتنا الذى صدر فى نوفمبر الماضى خاصاً بموضوع (الغارة على العالم الإسلامى) وقامت بترجمة فصوله مواظبة على ذلك ، خصوصاً المؤيد الذى يصدر بها أعداده بعناية تستوجب إعجابنا واحترامنا ، فليتكرم بقبول شكر المجلة له على ذلك . ولكن المؤيد لم يختم توطئته المنشورة فى عدد ٨ ابريل [١] بدون تبرم بل قد قال فى آخرها : إن المقاصد تتبين مع انكشاف الحوادث .

إن نشر ترجمة هذه المقالات قد بعث لأول مرة الدهشة فى قلوب الجميع كما يتضح مما قالته جريدة الاتحاد العثمانى وهى جريدة مهمة تنشر فى بيروت تحت رعاية جمعية الاتحاد والترقى [٢] وذلك أن بعض الصحف العربية ندد بلهجة شديدة على ترجمة مقالات الغارة على العالم الإسلامى وقال : إن من الغبن نشر كلمة الغارة على صفحات جريدة إسلامية ، فردت عليه جريدة الاتحاد العثمانى قائلة :

« إننا رأينا السكوت عن نشر هذه المقالة غشاً لا يجيزه لنا الدين ولا الوطنية بوجه من الوجوه ، فإشفاقاً على عواطف القراء الذين ما اعتادوا حتى اليوم سماع أمثال هذه النغمات المدهشة رأينا أن يكون نشرها مدعاة لتفكر عقلاء المسلمين وتدبرهم فى ملاقاة هذا الخطر المحدق بهم ، وأن لا يكون حظ هذا الفصل الإغفال والاستهانة بل القيام بما يأمر به الدين من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعدم وضع أبناء المسلمين فى المدارس الأجنبية إلا بعد أن يتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم » .

(١) انظر ص ٥

(٢) هذا القول لا يصح على أطلاقه .

وبجلة المنار نشرت مقالات الغارة على العالم الإسلامى بالعنوان الذى وضعه المؤيد وفى ٢٦ أبريل عاد المؤيد إلى التعليق على هذه المقالات متأثراً من استياء القراء بسبب نشرها .

وهذا ملخص الانتقادات والإيضاحات الواردة فى مقالة المؤيد يوم ٢٦ أبريل :

١ — أن بعض المسلمين يعد نشر هذه المقالات من قبيل الموافقة على ما جاء فيها .

٢ — والجواب على هذا القول أنه من قبيل وضع الشىء فى غير محله ، لأن المؤيد لما بدأ بنشر هذه المقالات مهد لها بتوطئة أبان فيها عن قصده من نشرها وذكر لقرائه شيئاً عن المجلة التى كتبت تلك المقالات ، والجمعية التى تنشر المجلة نفسها وحالتيهما قبل حوادث مراكش وفارس وطرابلس الغرب وبعدها .

٣ — ليست هذه المقالات من المباحث العلمية أو الجدلية التى تقتضى رداً ومناقشة بل هى تاريخ وأنباء ، وكنا نظن أنها ستدفع أهل الغيرة لزيارة مدرسة دار الدعوة والإرشاد التى فيها المصرى والمراكشى والجاوى والقفقاسى . اهـ

وهنا نكرر القول بأن إسناد غاية سياسية أو اقتصادية أو دينية إلى مجلة العالم الإسلامى هو أمر وهمى تماماً وبعيد عن الصواب بعد الإرسالية العلمية المراكشية عن شكل لجنة Comité

أما ما استنتجته المؤيد والمنار والاتحاد العثمانى مما هو متعلق بالإسلام فهو مهم فى بابه وكنا نحب أن نقول : إنها جاءت فى أوانها لولا أن هذا القول متعذر علينا إذ أن العالم الإسلامى ليس مهدداً فقط بالغارة والفتح بل هو قد أغير عليه وافتتح وأصبح مغلوباً على أمره تلك عاقبة غلطات وهفوات الذين تولوا مهمة إنقاذه فتدهوروا به فى هاوية الهلاك وأعينهم فى سِنة ونوم .

كانت مكانة الخلافة الإسلامية مشرفة على السقوط فى كل الجهات ثم حدث الانقلاب العثمانى فخيل إلى الناس أن الخلافة قد عادت سيرتها الأولى عقب استظهار الحرية على الحكومة الحميدية وكان فى استطاعة المسلمين يومئذ أن يبذلوا جهدهم لإحياء حضارة إسلامية مستقلة وقد كانت أوربا الحرة فى ذلك الحين تشد أزرهم ولكن الذين أنقذوا الدولة العثمانية من ربقة الاستبداد وهتفوا بمبدأ المساواة هم الذين أرهقوا الولايات بعد ذلك باستبدادهم الذى فاقوا فيه الاستبداد الحميدى . فنصبت المشانق فى دمشق

وسفكت الدماء فى آسيا الصغرى واندلع لهيب الثورات فى ألبانيا وبموجب سنّة الكو
التى تربط الأسباب بمسبباتها سلخت النمسا ولايتى بوسنة وهرسك عن السلطنة فى مقا
٥٣ مليوناً من الفرنكات ولم يبق سوى أن نعرف من الذى تناول هذه المبالغ وفى س
١٩١١ أنجزت أركان حربية النمسا خريطة بلاد الأرنأوط .

ثم حدثت بعد ذلك إغارة إيطاليا على طرابلس الغرب فلم تلق فيها مقاومة ولم تس
هذه الحادثة إلا عن طلب الإعانات فى الصحف ، وتبعها حادث استيلاء الإيطالي
أيضاً على جزر الأرخبيل وتقسيم الأملاك العثمانية فى أوربا . والظاهر أن الجيش العثما
المنظم والقوى أصبح لا وظيفة له إلا المباهاة بشكله بدون أن يعمل عملا وهو من ها
الوجهة مثل سفن الأسطول العثمانى التى اشتريت بأثمان باهظة لكى تكون ساكنة غ
متحركة .

وأوربا تركت هذه الحوادث تجرى على مرأى من العرب والترك والأرنأو
والروم والأكراد والسوريين وكل هؤلاء يميلون إلى الحكم الأجنبى أكثر مما يميلو
إلى الاتفاق والائتلاف ، وليس بين المشتغلين اليوم بالسياسة من العرب والأتراك م
يجهل الاستعدادت العامة التى تجرى لأجل التقسيم النهائى .

وليس بين الدول الأوروبية العظمى غير الدولة الإفرنسية ابتعدت عن هذا التقسيم
لأنها لا ترغب أن يكون لها حظ فيه ! وهى سوف لا تحصل على شىء ! أما الدو
الأخرى فدائبة على المساومة والتدقيق فى الحساب وهذا الأمر صار غير مجهول البتة
وأما الأمل ببقاء الدولة العثمانية فمتوقف على اتفاق عناصرها ولا ترى بين أصدقاء الإسلا
من يقوم فيرفع صوته محذراً من الخطر إلا وتقوم الجريدة العربية الكبرى فى القاه
والجريدة السورية ومجلة العلماء الدينية فيقلن : يا للفظاعة ! فأين هى الفظاعة ؟ ه
هى فى التحذير والتنبيه أم فى العناد والإصرار على عدم التفكير ؟

والآن من هم المدافعون الحقيقيون عن الحضارة الإسلامية ؟ هل هم هؤلاء الفقر
كالمراكشيين والطرابلسيين الذين يضحون أنفسهم لأجل باشوات وقواد فاسدين ومرتشي
ومشايخ ملئت بطونهم ! أم هم نخبة المتعلمين فى الجزائر وتونس والقطر المصر
وسوريا وتركيا وفارس المنكودة الحظ والبلاد الهندية وجزائر السند الذين هم فى مصاف
الأوروبيين محترمو الأفكار والنزعات ؟

فى يوم ٢٨ أبريل الماضى قام كاظم بك والى سلانيك يومئذ فتكهن فى أمر الحر

السياسية التى تتمخض بها الجيوش العثمانية فى الولايات المقدونية وألقى خطاباً رناناً بين جدران مسجد القاسمية عقب صلاة الجمعة فأتى على بيان القوات الإسلامية فى الصين والهند وأفغانستان وتركستان وطرابلس الغرب ومراكش ، وبحث فى أسباب الفشل الذى لحق بها . ثم ختم خطابه بشرح برنامج سياسى إسلامى أوسع من برنامج جمعية الاتحاد والترقى ويختلف عنه ، حض فيه على توسيع التعليم والتربية بين العنصر العربى المسلم ، فهل كانت غاية كاظم بك دينية أو اقتصادية ؟

جريدة المؤيد ومجلة المنار وجريدة الاتحاد العثمانى ينكرن على مجلة العالم الإسلامى أنها بينت للمسلمين كيف أن القوات الأوروبية المختلفة تتهافت لاستدراج الشعوب الإسلامية وإدخالها فى طرق أخلاقية واجتماعية وسياسية جديدة ، ولوكانت هذه الصحف مدركة سير الأمور التى لا مبدل لها لكانت تشكر مجلتنا على صنيعها ، ولماكانت تقول : « لنرجع إلى التعليم العربى القديم ونكتفى بتغييره سطحياً » بل كانت تقول : لنفتح مدرسة الغد وهى الكفيلة بخلاصنا ، المؤسسة على حضارة إسلامية عصرية .

والآن قد وصلنا إلى النقطة التى تتميز بها آراؤنا عن آراء رصفائنا العرب : أولئك مقاصدهم مقتصرة على توطيد استقلال الإسلام والهتاف به مع التأكد من عدم الحصول على هذا الاستقلال ، بل مع التأكد من فقده . ونحن نود أن نراهم وطدوا أركان هذا الاستقلال بانتهاج طرق الترقى والفلاح المفتوحة أمام مستقبل الإسلام ولكنهم يضعون الجامعة الشبيهة بالقديمة التى أسسها السيد رشيد رضا(١) فى مستوى الجامعة العصرية التى يدير شئونها البرنس فؤاد باشا(٢). إنهم لو أعملوا الفكر والروية لمعرفة الصعاب الحقيقة التى تعترض رسوخ الإنكليز فى مصر لاتضح لهم — وهم فى القاهرة — أنها ليست منوطة بالوطنية الدينية أو الوطنية السياسية بل بالنهضة الاجتماعية الكاملة ولا يمكن للمصرى المسلم أن يخرج من تحت السلطة البريطانية بتوطيد أركان دينه ، بل بإنهاض الفرد المسلم المتنور إلى مستوى الفرد المسيحى المتنور .

وبعد ، فإذا كان يدور فى خلد المؤيد والمنار والاتحاد العثمانى أن يتلافوا الغارة التى شنت على العالم الإسلامى فالطريقة بسيطة وهى أن يقولوا لقرائهم : لنخرج من عزلتنا ولنقابل الحقيقة الواقعة وجهاً لوجه .

---

(١) دار الدعوة والإرشاد

(٢) جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن)

جواب المؤيد

على مقالة مجلة العالم الإسلامى*

أكبرت رصيفتنا مجلة العالم الإسلامى الغراء تسمية الإرسالية المراكشية باسم لجنة Comite رغبة منها فى الابتعاد عن مظنة الاشتغال لمقاصد سياسية ، ولو رجع حضرة الفاضل المسيو ل. م. مرة ثانية إلى ماكتبناه وترجمه عنا لرأى أننا إنماكنا نستعمل لفظ جمعية وهو لفظ عام لا يقصد به بالذات المعنى الذى ذهبت إليه مجلة العالم الإسلامى لا سيما وفى القاهرة جمعيات علمية متعددة مثل (الجمعية الجغرافية الخديوية) و (المجمع العلمى المصرى) و (الجمعية الخيرية) ... الخ ، كلهن يطلق عليهن اسم جمعية وليس لواحدة منهن مقاصد سياسية .

نعم شعرنا بتعرض مجلة العالم الإسلامى لبعض المرامى التى كانت تتجنبها من قبل وفى مقالتها الأخيرة التى نحن الآن بصددها ما يزيد شعورنا هذا قوة . على أننا قد سررنا كثيراً من نفى رصيفتنا حدوث التغير فى خطتها ونحن لا ننكر عليها ما تقوله عن نفسها لأن ذلك ما كنا ولا نزال نتمناه لها .

أما عنايتها بنشر ما حصلت عليه من المعلومات عن أعمال جمعيات التبشير البروتستانية فهذا شىء نشكرها عليه كثيراً وحبذا لو تتفضل رصيفتنا فتكمل هذا البحث التاريخى الجميل بنشر ما لديها من المعلومات عن أعمال جمعيات التبشير الكاثوليكية وغيرها .

تقول مجلة العالم الإسلامى : إن ملاحظاتنا المتعلقة بالإسلام مهمة فى بابها وكانت تحب أن تقول : إنها جاءت فى أوانها ، لولا أن القول متعذر عليها ، لأن العالم الإسلامى ليس الآن مهدداً فقط بالغارة والفتح بل هو قد أغير عليه ... الخ

ونحن لسنا على رأى رصيفتنا فى هذه النتيجة لأن فرنسا نفسها قد مرت عليها أدوار أصعب من الدور الذى نحن فيه ، ووقعت فى أزمات أشد من أزمتنا الحاضرة ، بل إن الخطر الذى تقول رصيفتنا إنه يتهددنا ليس بأقل من الخطر الذى تشعر فرنسا الآن بأنها مهددة به لأنها صارت لا يقوم لها أمر إلا بفضل حماية غيرها لها ، وهى وإن كانت لا تزال حتى الآن تسعى لاستعمار غيرها فإنها تخشى أن تفضى بها الحال إلى أن تكون فى يوم ما مستعمرة لغيرها ، وإذا كانت هى غير يائسة من تلافى هذا الخطر مع الزمان فنحن أيضاً غير يائسين من المستقبل ، والمستقبل بيد الله .

وتقول رصيفتنا إن العرب والترك والأرناؤط والروم والأكراد والسوريين يميلون

إلى الحكم الأجنبى . وهذه فكرة غير صحيحة ، ولو تحقق اللبنانيون — مثلا — فى يوم من الأيام أن فرنسا الحاكمة على الجزائر وتونس والمحتلة لمراكش ستكون الحاكمة عليهم لتحفزوا حينئذ لقتالها بشدة لا تعدلها شدة مقاومة الطرابلسيين لإيطاليا . وقد صار اللبنانيون وكل مسيحى الدولة العثمانية يعلمون أن فرنسا لا ترتبط معهم برابطة الدين وأنها تعد من التنور القضاء على الدين المسيحى ومطاردة رجاله ، بل إن الأقطار التى هى تحت حكم فرنسا مثل الجزائر وتونس وغيرهما لو تيسر لأهلها التخلص من الحكم الفرنسوى ولو إلى حكم أى دولة أجنبية أخرى ما ترددوا فى التخلص منه إلى غيره .

وأعجب ما قرأناه فى مقالة رصيفتنا — بعد قولها إنه ليس بين المشتغلين بالسياسة اليوم من العرب الأتراك من يجهل الاستعدادات العامة التى تجرى لأجل تقسيم الدولة العثمانية تقسيما نهائياً — أنه ليس بين الدول الأوروبية العظمى غير الدولة الفرنسية ابتعدت عن هذا التقسيم (الخ) ونحن لم نفهم سر هذا الابتعاد ، ولم نشأ أن نقول إنه من باب العفة والزهد لأن هذا الباب مفقود من كتاب السياسة ، فحبذا لو تفضلت رصيفتنا بإزالة هذا الإشكال وإبانة السبب الموجب لهذا الابتعاد .

تتهمنا رصيفتنا بأننا نستفظع من أصدقاء الإسلام ! تنبيههم لنا وتحذيرهم إياناً من الخطر ، ونحن لا نذكر أننا وقعنا فى هذا الخطأ وإذا كانت تعنى بهذا التنبيه والتحذير نشرها لمقالات الغارة على العالم الإسلامى فنحن قد أحللنا هذه المقالات محلها من الاهتمام وعنينا بنشرها بالعربية كما سررنا من انتشارها بالإفرنسية ، ولا نزال نستزيد رصيفتنا من هذه المعلومات .

أما انتقاد مجلة العالم الإسلامى لمشروع دار الدعوة والإرشاد وقولها عنه إنه رجوع إلى الطريقة القديمة فلم يظهر لنا أنه انتقاد وجيه ، لأنا متحققون من فائدة هذه المدرسة لبلادنا . والناس أدرى بكثير من شئون أنفسهم . ومع ذلك فنحن لا نرى ضرراً من انتشار معاهد العلم بكل أنواعها والمؤيد كان فى مقدمة الصحف الداعية إلى تأسيس الجامعة المصرية التى يدير شئونها الأمير فؤاد باشا ولكن هل لرصيفتنا مجلة العالم الإسلامى أن تبين لنا الفوائد التى نالتها بلادها من الجامعة المصرية من الوجهة التى هى موضوع بحثنا ؟ .

إنها إذا أبانت لنا ذلك تكون قد استوجبت شكرنا لها مرة ثانية .

كلمة فى هذا الكتاب

بقلم كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان

لما أخذنا فى نشر فصول هذا الكتاب فى صحيفة الفتح كان أول من عرف أهميتها وقدّرها قدرها ، كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان ، فكتب إلينا هذه الكلمة القيمة مقترحاً طبعها فى كتاب مستقل . قال حفظه الله :

إنى أقترح طبع هذه المقالات المترجمة فى الفتح عن أعمال المبشرين كتاباً على حدة يطبع منه ألوف من النسخ وعشرات ألوف ويوزع على جميع العالم الإسلامى بدون استثناء ويقتنيه كل مسلم ذى حمية ويقرأ منه الخطباء والمدرسون فى الجوامع ولا يبرح بين أيدى المسلمين حتى يستظهروه غيباً لعلهم ينهضون أخيراً لمقابلة الشىء بمثله ويؤلفون الجمعيات ويتبرعون لها بالأموال ولو بعشر عشر معشار ما يتبرع به الإفرنج لجمعياتهم التبشيرية التى لا نحتاج إلى ذكر مآربها الخبيثة بما شرحته لنا تقاريرها وما فضحته من أسرار أعمالها وما أوضحته من الطرق التى هى سائرة عليها لهدم الإسلام من كل أقطار الأرض .

ويجب أن يترجم هذا الكتاب إلى التركى والفارسى ولسان الأورد ولسان الملايو وجميع ألسنة الشعوب الإسلامية .

وإننا لنشكر زويمر وأقرانه وجميع هؤلاء المبشرين على هذه التقارير التى لم تُبق عند أحد شبهة فى حقيقة مقاصد هذه الجمعيات وهذه البعثات التبشيرية على اختلاف محلها ، كما أنها لم تُبق عند أحد شبهة فى عضد الحكومات الأوربية لهذه الجمعيات التبشيرية وهذه البعثات التى تبثها فى العالم الإسلامى تارة خفية وتارة علناً ، فإنه ما من سبيل للدفاع عن النفس أحسن من معرفة العدو ما يكيد له عدوه .

لوزان — شكيب أرسلان

فهرس

صفحة

صفحة

العبودية في الإسلام

تفسير قول الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

(٦٦١ — ٧٢٨)

(الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧)

المطبعة السلفية ومكتبتها

الفتوى الحموية الكبرى

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

(٦٦١ — ٧٢٨)

الطبعة الثالثة ١٣٩٧

(القاهرة — فى روضة الفسطاط)

من مطبوعات

المطبعة السلفية ومكتبتها

٢١ شارع الفتح بالروضة ت : ٨٤٠٣٦٤

ومن مؤلفات

شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية

— أمراض القلوب وشفاؤها . ويليها التحفة العراقية فى الأعمال القلبية
— جواب أهل العلم والإيمان
— الحسبة فى الإسلام
— الرد على الأخنائى ، واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية
— الرسالة التدمرية
— رفع الملام عن الأئمة الأعلام
— السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية
— العبودية فى الإسلام . تفسير : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾
— العقيدة الواسطية ، والمناظرة فيها
— الفتوى الحموية الكبرى
— الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
— قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة
— القياس فى الشرع الإسلامى
— معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول
— مقدمة فى أصول التفسير
— ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه إبراهيم الغيانى
— النبوات
— الرسالة القبرصية
— تفسير المعوذتين